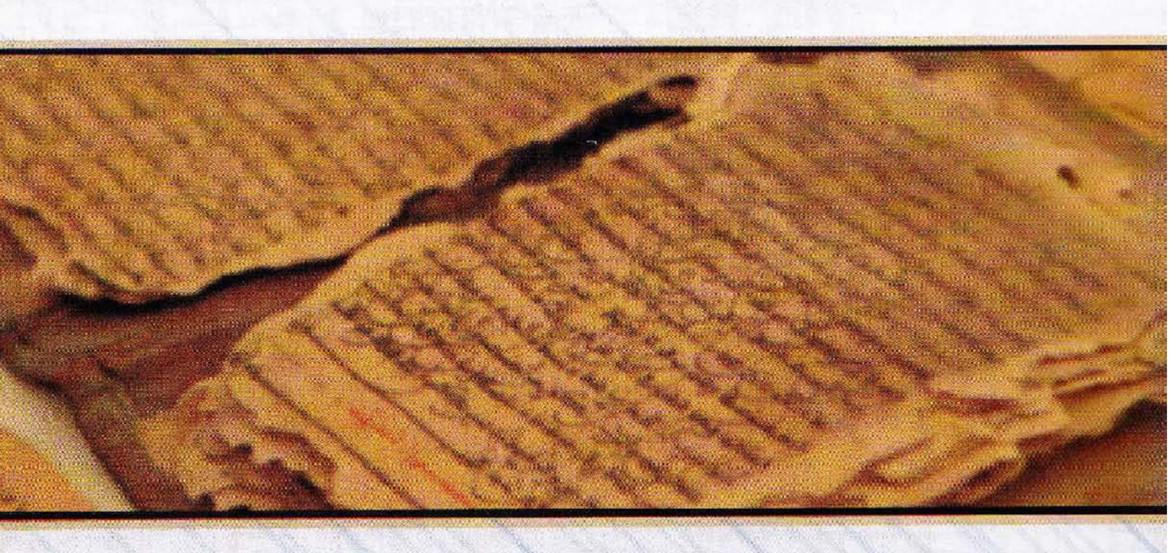


الأمالي الحديثية

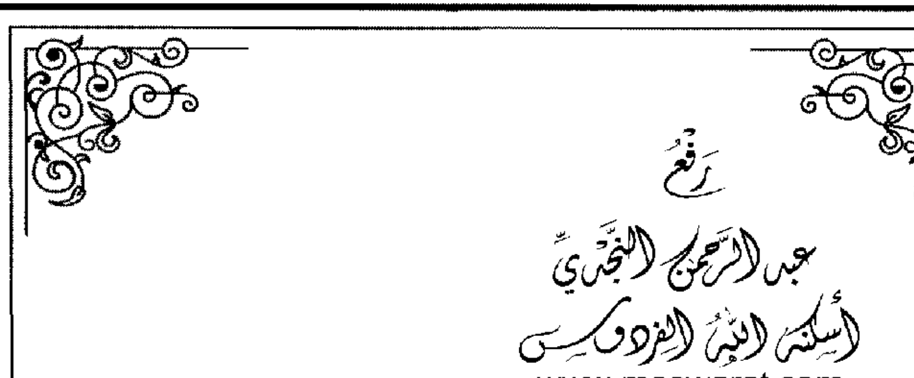
مدخل إلى معرفة دورها العلمي وأثرها التربوي في التاريخ الإسلامي

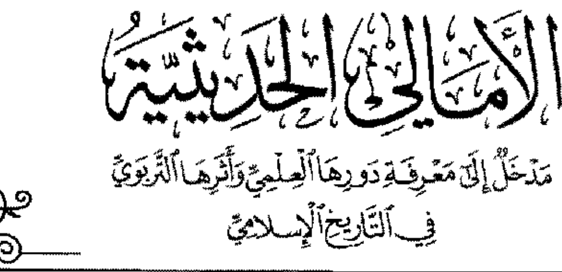


تأليف الدكتور
رياض حسين عبد اللطيف الطائي

دار اللباب

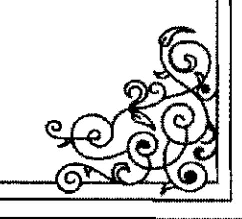

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

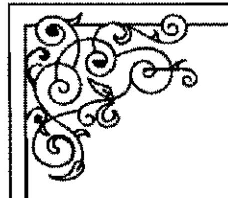
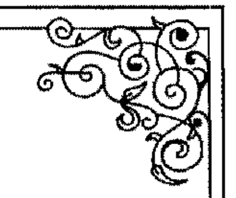




الأمالي الحديثية

مدخل إلى معرفة دورها العلمي وأثرها التربوي في التاريخ الإسلامي



الطبعَة الأولى

١٤٤٠هـ-٢٠١٩م




9 786052 279359



دار اللُّباب للدِّراساتِ وتحقيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

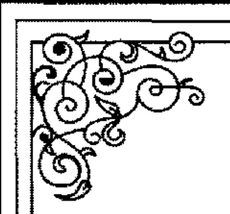
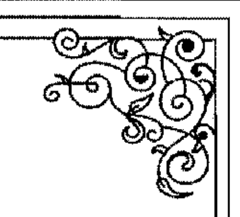
اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com



İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

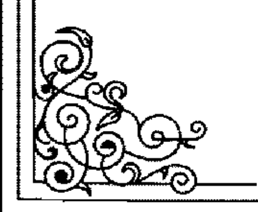
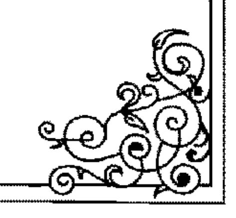


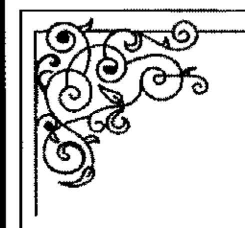
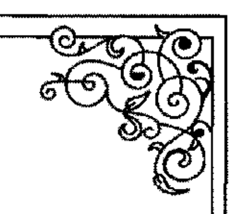
الأمالي الحديثية

مدخل إلى معرفة دورها العلمي وأثرها التربوي في التاريخ الإسلامي

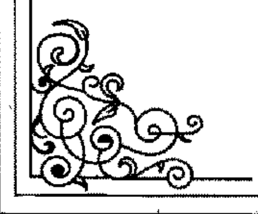
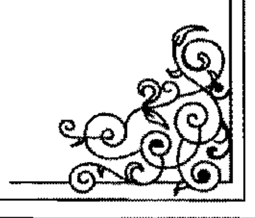
تأليف الدكتور
رياض حسين عبد اللطيف الطائي

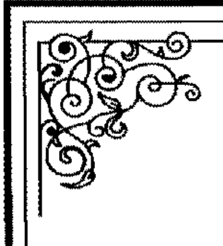
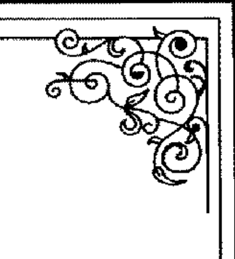
دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم الأستاذ الدكتور سلطان بن سند العكايلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ من بعده.

وبعد، فقد سخّر الله خَلْقًا لحراسة وَحْيه على مَرِّ الدهور وتعاقب الأجيال، وجعل كلًّا ميسَّرًا لما خُلق له؛ ليقوم الناس بمصالح آخرتهم ودنياهم.

ولا شك أن أهل الحديث ـ على قلتهم وغربتهم ـ قد شَرّفهم الله تعالى بوظيفة حَمْل العلم، ونشر السنة النبوية المشرفة وحِراسَتِها من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، وقد حملت هذه الطائفةُ مشاعلَ الهداية في دياجير الظُّلَم؛ فأَخْلَصُوا ونَصَحُوا، وعَدَّلوا وجَرَّحوا، وبيَّنوا ووَضَّحوا، فجزى اللهُ سَلَفَهم وخَلَفَهم كلَّ خيرٍ، وحَشَرَنا وإياهم مع صاحبِ المَقامِ المَحمودِ والحوض الموردِ عليه الصلاة والسلام.

وقد تنوعت وسائل حفظ السنة النبوية تحمّلاً وأداءً، وتطورت أساليبُ صيانتها وإذاعتِها بين الناس، وصَمَدَ أهل العلم على هذه المهمة النبيلة، وبذلوا في سبيلها المُهَجَ والأرواح، ورَكِبوا لأجلها مُتُونَ الخَطَرِ حتى أوصلوا السنة النبوية لمن بعدهم بَيْضاءَ نقيةً، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ، ولا يَتَنكَّب طريقَها إلا ضالٌّ.

وكان من بين هذه الوسائل ما عرف بـ«الأمالي الحديثية» التي كان يعقِدُها العلماءُ عَبْرَ مجالسَ مُنَظَّمةٍ من حيث الزمانُ والمكانُ والحضورُ والمادةُ والمملاةُ. وغالبًا ما يتصدَّرُ المحدِّثُ مَجْلِسَ الإملاءِ بعد تَقاعُدِهِ من التدريس، فيُفيضُ من واسع حافظته ما يَسْمحُ به الخاطر بحكم الظرف أو المناسبة التي تستدعي الاستجابة من العالم أن يعيش واقع الحياة مع الناس، فيوجِّههم بنصوصٍ نبوية مختومة بنوادرَ ومُلَحٍ يُمليها في مجلسه المعقود للإملاء، فتكون نبْراسًا يُهتدَى به، فيصحّ بها المعوجّ من السُّلوك، ويردّ الشارد واللاهي إلى ميدان الهدى والصلاح.

وقد انتبه العلامة الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) لهذه المسألة، فألّف كتابًا رائقًا أسماه: «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» وإن كان يغلب عليه

المنهج الوعظي القائم على التذكير والنصح مغضيًا عن ضعف بعض ما أورد فيه، إلا أنه دار في فَلَكِ الإصلاحِ وتقويمِ السلوكِ، ذاكَ الغرضُ الذي كانت تعقد من أجله مجالس الإملاء في غالب الأحيان.

وما من شَكٍّ أن مجالسَ الإملاءِ قد شاركت في بناء نهضةِ الأمةِ وإقلاعها نحو الأفضل، وإنّكَ لَتعجبُ إذا ما كان مجلسُ الإملاءِ يحضرُهُ عَشَرات الألوفِ من التلاميذ والعامة، حتى إن أحدهم ليأتي مع السَّحَرِ لينالَ مقعدًا فيَجِدُ المجلسَ قد امتلأ! أي أمةٍ هذه؟ وأي بيئة علمية تلك؟

يحق لهذه الأمة التي كان هذا شأنها أن تكون هي المُقدَّمةَ على غيرها بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..﴾ [آل عمران: ١١٠].

لقد انبرى الأخ الفاضل، والصديق الحميم الدكتور رياض بن حسين الطائي لتأليف جزء حديثي أسماه: «الأمالي الحديثية، مدخل إلى معرفة دورها العلمي وأثرها التربوي في التاريخ الإسلامي» وبعث لي بجزئه هذا طالبًا مني التقديمَ لهُ، مُحْسِنًا الظَنَّ بي، مُسْتروحًا إلى ما عَهِدَهُ مني من ثقتي بقلمه الرصين ـ ويحق له هذا الاسترواح ـ منذ أيام

الطَّلَبِ، وتدريسي مساقاتٍ مختلفةً في تخصص الحديث الشريف بجامعة العلوم الإسلامية العالمية في عَمّان البلقاء المحروسة، فلم أجد بُدًّا من تلبيةِ طلبهِ، راجيًا من المولى عَزَّ وجَلَّ أن يلهمني الصوابَ وأن يثبّتني بالسداد والرشاد.

وقد تناول الأخ الدكتور رياض الطائي موضع «الأمالي الحديثية وأثرها التربوي في التاريخ الإسلامي» عبر أربعة مباحث؛ كلما طالعتُ مبحثًا شَدَّني شوقًا لمطالعة المبحث الذي يليه، فكنتُ أسرّح الخاطر في مادّته؛ متنقِّلاً فيه من روضٍ إلى روضٍ، ومن زهرةٍ إلى زهرةٍ.

والحقّ أن الكاتبَ قد وفَّى المقامَ حقَّه بقلمه السيّال؛ فبيّن مفهوم الأمالي، وفضلَ مَجالِسِها، وفوائدَها، وصفاتِها، وعناصِرَها، وآثارَها التربوية في تقويمِ السّلوكِ، وإصلاحِ الأنامِ، فهو بهذا الجهدِ المباركِ جلّى أثرَ السّنّةِ المشرّفةِ وواجبَ حَمَلَتِها تجاهَ الأمّةِ في مراعاةِ مصالحها عبرَ مناسباتِ الزمانِ والمكانِ المتكرّرةِ.

إن إحياءَ سنّة الأمالي واجب تمليه المصلحةُ العامةُ والظروفُ التي أحاطتْ بنا من كلِّ صوبٍ، والرجاءُ معقودٌ على لواءِ أهلِ السّنّةِ لتنطلق هذه الأمةُ العظيمةُ من عقالِ الكسلِ والهوانِ إلى ميدانِ العزِّ والمَجدِ؛ مستلهمةً ما ورثته عن نبيِّها من سنن مأثورة.

إن واجب أهل الحديث وحماة السنّة أن يقودوا الناسَ نحوَ الخيرِ في ضوء الهدي النبوي بكلِّ وسيلةٍ من وسائلِ عَصْرهم، فسَلَفُنا صَمَدُوا المهمة توجيهِ سلوكِ الأنامِ، ورعايةِ مصالحهم عَبْر مجالسِ الإملاءِ المختلفة في كل مناسبةٍ أو طارئٍ يحلّ على الأمة، فهل نحن على آثارهم سائرونَ، وعلى دَرْبِهم ماضُونَ؟

أسأل الله العظيمَ، ربَّ العرش الكريم أن يحقِّقَ لهذه الأمة عِزَّها ونَصْرَها، وأن يمكِّن لها في الأرض، إنه نِعْمَ المولى ونِعمَ النصيرُ.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبيّ المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

سلطان بن سند العكايلة

في مدينة الكويت المحروسة

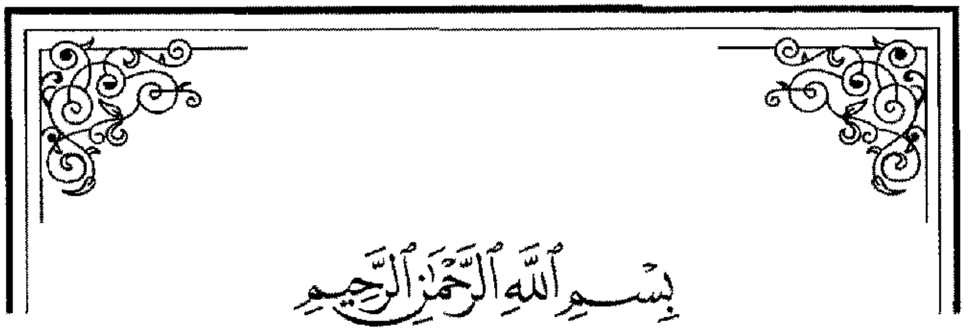
ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر ١٤٤٠هـ

يوافقه ١٦/ ١٠/ ٢٠١٨م

***







إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُ به ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا، ومن سيئات أعمالِنا.

من يَهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُه.

اللَّهم صلِّ على مُحمّد وعلى آل مُحمّد، وبارك على مُحمّد وعلى آل مُحمّد؛ كما صَلَّيتَ وباركتَ على إبراهيمَ وآل إبراهيمَ إنكَ حَميد مَجيد.

أما بعد..

فمنذ أن نُبّئ رسولُ الله ﷺ بـ ﴿اقرأ﴾، وأُرسِل بـ ﴿المدَّثِّر﴾ وهو يَحمِلُ همَّ دعوة الناس إلى عبادة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وحدَه لا

شريكَ له، وإلى الخير والصلاح والاستقامة.. إلى جَنّة عَرضُها السماواتُ والأرضُ؛ حتى توفّاه الله عز وجلَّ على هذه الحال.

وقد أورَثَ النبيُّ ﷺ أمّتَه هذا الشرفَ العظيمَ، وذلكَ بأنْ أمرَها بتبليغ رسالة ربِّها إلى العالَمين، فقال ﷺ: «**بَلّغوا عَنّي ولَو آيةً**»، وقال ﷺ: «**نَضّرَ اللهُ امرَأً سَمِعَ مَقالَتي فوَعاها..**».

فحَمَلَ علماءُ الأمة ونبلاؤها وسادتُها وأكابرها هذا الشرفَ، فبلّغوا ما وسِعهم التبليغُ، ودَعَوا الناسَ إلى صلاح الدنيا وخير الآخرة، لم يألوا جهدًا في النصح، والتعليم، والإرشاد.

وتنوعتْ طرائقُهم في التعلُّم والتعليم والدعوة، مع تنوّع الحاجات والقدرات والظروف والأسباب.

وقد ظلَّ التعليمُ عن طريق الروايةِ السِّمةَ البارزةَ، والصفةَ الكاشفةَ لهذه الأمّة.

وما زال العلمُ يؤخذ من أفواه العلماء والأساتذة وأهل الدراية والرواية جيلًا بعد جيل.

وفي غضون ذلك كلِّه ظَهرَ أسلوبٌ من أساليب التعليم الرشيدة، يتمثّلُ بإلقاء العالِمِ على طُلّابه فنونَ العلوم الشرعية والأدبية وغيرِها، على نحوٍ يُشبِهُ التلقينَ، بقصد التعليم والتفهيم،

فيتلقّاها الطُّلابُ من فم الشيخ، فيدونونه في قراطيسهم، ويُعنَون به أشدَّ العناية.

وهذا ما عُرف عندَهم بمجالس الإملاء أو الأمالي.

ولِما لهذه المجالس من دَورٍ عِلميٍّ، وأثرٍ تَربويٍّ، فقد كان حريًّا بنا الوقوفُ عندَها، نستشف منها صفاتِها، وأحوالَها، ونتعرّف على آدابها وأخلاقها، ونستخرج أهمَّ فوائدها وعوائدها.

لقد صارت هذه المجالس «الأمالي» من أرقى صور الإبداع العِلميّ، والنضوج الفِكريّ الذي بلغته هذه الأمة.

والناظرُ في نشأة الأمالي وتطوّر صُوَرِها وألوانِها يَجِدُ اطّرادًا ظاهرًا في رُقيّ الأمة ونهضتها، حتى شَمَلَ ذلك مختلفَ نواحي الحياة.

ومع أُفول نَجمِ هذه الأمّة في متأخّر الأعصار، وما مرَّ بها من أيامٍ مظلماتٍ، وأزَماتٍ مُدلَهِمّات، نجدها ـ كذلك ـ قد غاب عنها رَونَقُ هذه المجالس وزهوُها، وبريقُ هذه المحاضراتِ وبهاؤها.

ولَعَمْري! هل كان غيابُ هذه المجالس العَطِرة وغيرِها من الصُّوَر العِلميّة المُشرِقة سببًا عظيمًا في تدهور حال الأمة واضمحلال مَجدِها؟

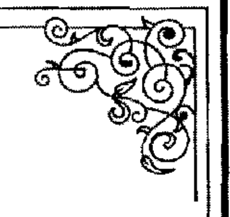
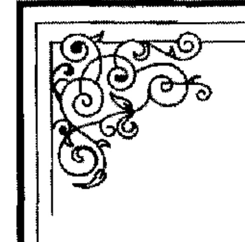
أم كان تقهقرُ الأمـةِ وضعفُهـا سببًا فـي إعـراض النـاس عن هذه الأمالـي والزُّهـدِ فيهـا، والانشـغال عنهـا بالذي هـو أدنى؟!

هـذا تسـاؤلٌ مُؤلـمٌ أضعـه بيـن يـدي القـارئ وأنـا أقـدِّم لبحثـي هـذا الـذي عشـتُ معـه سـاعاتٍ عَبقـةً بعِطْـر الطِّيـب الـذي يَفـوحُ مـن هـذه المجالـس، ومـا انتهيـت منـه إلا وكأنّـي أسـمع صوتَ المُسـتملي يَسـتنصِتُ الناسَ، ويَسـتقبِلُ بوجهه شـيخَه المُملي قائلًا لـه: منْ ذكرتَ، رحمـك الله!

ففارقتُ قَلَمي، مُستذكِرًا قولَ الشاعر:

لمّـا تَبَدَّلَـتِ المَجالِـسُ أوْجُهًا	غيرَ الّذينَ عَهِدتُ مِنْ عُلمائِها
وَرأيتُها مَحفُوفةً بسِـوَى الأُلى	كانُـوا وُلاةَ صُدُورِهـا وفِنائِهـا
أنْشَـدتُ بَيْتًـا سـائرًا مُتَقَدِّمًـا	والعَيْنُ قد شَرِقَتْ بجارِي مائها
أمّـا الخِيـامُ فإنّهـا كَخِيامِهِـمْ	وأرى نِساءَ الحيِّ غَيْرَ نسائها

* * *

خطتي، ومنهجي في البحث

قسمتُ بحثي إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأمالي.. دلالتها وتاريخ نشوئها.

وقد جعلتُ هذا المبحثَ في مطلبين:

المطلب الأول: الأمالي لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تاريخ نشوء الأمالي.

المبحث الثاني: مجالس الإملاء.. فضلها، وفوائدها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مجالس الإملاء.. فضلها والحث على عَقْدها.

المطلب الثاني: فوائد مجالس الإملاء.

المبحث الثالث: صفة مجلس الإملاء وآدابُه المَرعيّة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفة مجلس الإملاء.

المطلب الثاني: الآداب المَرعيّة في مجالس الإملاء.

المبحث الرابع: مجالس الإملاء.. آثارها وثمراتها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأثر الفكري والعَقَدي لمجالس الإملاء.

المطلب الثاني: الأثر العلمي لمجالس الإملاء.

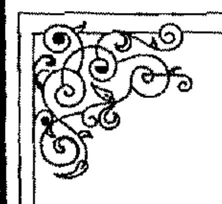
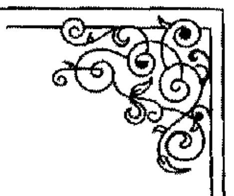
المطلب الثالث: الأثر الاجتماعي والسلوكي لمجالس الإملاء.

ثم الخاتمة.

أسأل اللهَ تعالى حسنَ المثوبة، والعفوَ عن الزلّة.

وصَلَّى اللهُ على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

* * *

المبحث الأول

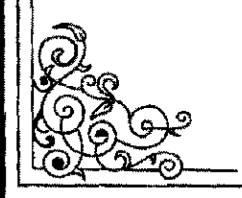
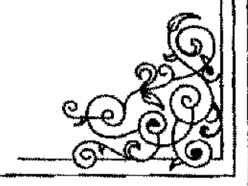
الأمالي.. دلالتها وتاريخ نشوئها

وقد جعلتُ هذا المبحثَ في مطلبين:

الأول: في ما تتضمنه الأمالي من مَعانٍ لغويّة واصطلاحيّة.

الثاني: في تاريخ نشوء الأمالي.

* * *



المطلب الأول: الأمالي لغةً واصطلاحًا

الأمالـي؛ لغةً: اسـمٌ منقـوص بياءٍ سـاكنة غير مشـدَّدة، وهو جمع تكسـير لـ«إملاء»، علـى غير قياس.

والإملاء: مصدر أمْلَى يُمْلي.

قال ثعلب: وأملَيْتُ الكِتابَ أُملِيهِ إملاءً، وأَملَلْتُ أُمِلُّ إملالًا: لغتان جيّدتان جاء بهما القرآن.[1]

فقال الهرويُّ ـ شارحًا ـ: وهما بِمعنًى واحدٍ، وذلك: إذا ذكرتَ لكاتبِ الكتابِ ما يَكتبه فيه، ولفظتَ به وألقيتَه عليه، أو تَلوتَ عليه ما في الكتاب؛ أي قرأتَه عليه.

وقـال تعالـى: ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقـان: ٥] فهذا مِـنْ: أمليتُ.

وقـال عـز وجـل: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ

---

(١) أبـو العبـاس ثعلـب (ت: ٢٧١هـ): «كتاب الفصيح»، تحقيق: د. عاطف مدكور، نشـر: دار المعـارف ـ القاهرة، (ص: ٣١٧).

وانظـر: ابـن قتيبـة، عبـد الله بـن مسـلم (ت: ٢٧٦هـ): «أدب الكاتـب»، حققـه وعلـق حواشـيه: محمـد الدالـي، نشـر: مؤسسـة الرسـالة ـ بيـروت (ص: ٤٨٨).

﴿مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فهذا مِنْ: أمللتُ.[١]

قال الزَّمَخْشَري: والفاعلُ مِن أمليتُ: مُمْلٍ، ومن أمللْتُ: مُمِلٌّ.[٢]

ونَقَلَ الأزهريُّ عن الفرّاء، قال: أمللتُ عليه: لغةُ أهل الحجاز وبني أسد.

وأَمْلَيْتُ: لغةُ تَميم وقيس.

ويُقال: أمَلَّ عليه شيئًا يَكتبُه، وأَملى عليه، ونَزَلَ القُرآنُ باللُّغتين.[٣]

قال ابن النَّحّاس: فيجوز أن يكونا لُغتين بمعنى واحد، ويجوز أن يكون أصلُ «أمليتُ»: «أمللتُ»، فاستثقلوا الجمعَ بين حرفين

---

(١) الهروي، أبو سهل، محمد بن علي بن محمد النَّحوي (ت: ٤٣٣هـ): «كتاب إسفار الصحيح»، دراسة وتحقيق: د. أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، نشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٠هـ (ص: ٨٦٩ـ ٨٧٠).

(٢) الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ): «شرح الفصيح»، تحقيق ودراسة: د. إبراهيم بن عبد الله الغامدي، نشر: جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ، ٢/ ٦٦٢.

(٣) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ): «تهذيب اللغة»، تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، نشر: دار الكاتب العربي، مصر، ١٩٦٧م، ١٥/ ٣٥٢.

علـى لفـظٍ واحـدٍ، فأبدَلوا مِـن أحدهما يـاءً، كمـا يقال: تظنَّيـتُ.[1]

وإبدال الياء من اللام معروف.

قال ابن عصفور: وأُبدِلَتْ ـ أي: الياءُ ـ من اللام في: أمليتُ الكتابَ. إنما أصله «أمللْتُ»، فأُبدِلَتْ اللامُ الأخيرةُ ياءً هروبًا من التضعيف... وإنما جَعلْنا اللامَ هي الأصلَ لأنَّ «أمللتُ» أكثرُ من «أمليتُ».[2]

قال الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ: ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ تُقرَأ عليه، مِن: أمليتُ وأمللتُ.[3]

وقال الحافظ ابن حجر: قوله: (أمليتُ) أي: أمللتُ. وقوله: (تُملى عليه) أي: تُقرأ. وقوله: (يُمِلُّها عليَّ): كلُّه من الإملاء، وهو: إلقاء القول على سامعه.[4]

---

(١) النحّاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: ٣٣٨هـ): «صناعة الكتاب»، تحقيق: د. بدر أحمد ضيف، نشر: دار العلوم العربية، بيروت ١٤١٠هـ (ص: ١١٥).

(٢) ابن عصفور الإشبيلي (٦٦٩هـ): «الممتع الكبير في التصريف»، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، نشر: مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت ١٩٩٦م، (ص: ٢٤٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ): «الجامع الصحيح»، عن نسخة الإمام اليونيني، اعتنى به: د. محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، كتاب التفسير، سورة الفرقان ٦/ ١٠٩.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): «هُدى الساري»، مخطوط (ق٦١/ أ). =

وقال ـ أيضًا ـ: قوله: (فأمْلَتْ عليه): يقال: أمللتُ الكتاب، وأمليتُ؛ لغتان.[1]

وقال الجوهريُّ: واستمليتُه الكتابَ: سألتُه أن يُمليَه عليَّ.[2]

واستملاه: سأله الإملاءَ عليه، ومنه: المُستَملي، للذي يَطلب إملاءَ الحديث من شيخه.[3]

قال الصُّوليّ: وأصل هذه المادة من الإطالة.[4]

= ووقع في المطبوعات تحريفات، فلتصحح.
انظر: «هدى الساري»، طبع دار المعرفة، (ص: ٨٠)، وطبعة دار طيبة، تحقيق نظر الفاريابي، ١/ ٢٠٠.

(١) ابن حجر: «هدى الساري» (ق ١٣٣/ أ). ووقع في المطبوعات تصحيفات، فلتصحح. انظر: «هدى الساري» طبعة المعرفة، (ص: ١٨٥)، وطبعة دار طيبة ١/ ٤٥٩.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ): «الصحاح»، تحقيق: د. أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت ١٤٠٤هـ، ٦/ ٢٤٩٧.

(٣) الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ): «تاج العروس من جواهر القاموس»، تحقيق: عبد المجيد قطامش، نشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٤٢٢هـ، ٣٩/ ٥٥٥.

(٤) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت: ٣٣٥هـ)،: «أدب الكتاب»، تحقيق: محمد بهجة الأثري، نشر: المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٤١هـ، (ص: ١٣٥).

وقال السَّمين الحَلبيّ: أصل هذه المادة: الإعادة مرّةً بعدَ مرّةٍ.[1]

قلتُ: وكأنّهم لَحظوا في الأمالي التأنّيَ والتلقينَ الذي يَستدعي البُطْءَ في الإلقاء، وإعادةَ النصّ ليتمكّنَ السامعُ مِنْ كَتْبه وتدوينه.

وقيل: بل الأمالي جمعُ «أُمْلية»؛ نحو: أغنية وأغاني، وأحجية وأحاجي، وأثفية وأثافي.[2]

قلت: لم يَشتهِر عند الأقدمين أنهم أطلقوا على مفرد الأمالي أملية. والمثبت في كتب التواريخ والمعاجم اللغوية والمصنفات الحديثية وسماعاتِها أنهم يُطلقون على مفرد هذه المجالس: إملاء، فيقولون: مجلس إملاء كذا، ومجالس الإملاء، والله أعلم.

---

(١) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت: ٧٥٦هـ): «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون»، تحقيق: د. أحمد محمد خراط، نشر: درا القلم ـ دمشق، ٢/ ٦٥٣.

(٢) انظر: البستاني، بطرس المعلّم: «محيط المحيط» ٢/ ٢٠٠٧. **وهو معجم طافح بالأغلاط!**

واستروح إليه ـ أيضًا ـ مصحح دائرة المعارف العثمانية الحبيب عبد الله بن أحمد العلوي في مقدمة طبعة «أمالي اليزيدي» أبي عبد الله محمد بن العباس، نشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الدكن (ص: يأ).

وانظر: د. عمر الدقاق: «من كتاب الأمالي لأبي علي القالي»، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م، (ص: ٤٣).

وقد تصدّى للرد على مَن ادّعى أنّ الأمالي جمعُ أُملية: العلامة مصطفى جواد، والأب أنستاس ماري الكِرْمِليّ، كما في «أغلاط اللغويين الأقدمين»[1].

الأمالي اصطلاحًا:

من خلال العرض اللُّغوي لمادة «إملاء» يتضح جانبٌ من الجوانب الدلالية للأمالي، فهي لا تبتعد كثيرًا - في معناها الاصطلاحي - عمّا تضمنه المعنى اللغوي للكلمة.

لذا نجد حاجي خليفة قد عرّفها على النحو التالي:

قال حاجي خليفة في «كشف الظنون»: الأمالي: هو جمع الإملاء، وهو أن يَقعد عالمٌ وحولَه تلامذتُه بالمحابر والقراطيس، فيتكلّم العالمُ بما فَتَحَ اللهُ - سبحانه وتعالى - عليه من العِلم، ويكتبه التلامذةُ، فيصير كتابًا، ويُسمّونه: «الإملاء» و«الأمالي». وكذلك كان السَّلفُ من الفقهاء والمُحدّثين وأهل العربية وغيرها في علومهم، فاندرست لذهاب العلم والعلماء، وإلى الله المصير.[2]

---

(1) أنستاس ماري الكِرْمِليّ: «أغلاط اللغويين الأقدمين»، مطبعة الأيتام، بغداد، ١٩٣٣م، (ص: ١٩٥- ٢٠٧).

(2) حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ): «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، طبع (أوفسيت): دار إحياء التراث العربي - لبنان، ١/ ١٦١.

وقال الكتّاني: وهو من وظائف العلماء قديمًا ـ خصوصًا الحُفّاظ من أهل الحديث ـ في يومٍ من أيام الأسبوع؛ يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة ـ وهو المستحب ـ كما يُستحَبّ أن يكون في المسجد لشرفهما.

وطريقهم فيه أنْ يَكتب المُستملي في أول القائمة: هذا مجلسٌ أملاه شيخُنا فلانٌ بجامع كذا، في يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يُورِد المُملي بأسانيده أحاديثَ وآثارًا، ثُمَّ يُفَسِّر غريبَها، ويُورِدُ من الفوائد المتعلّقةِ بها بإسنادٍ أو بدونِهِ ما يَختارُه ويتيسَّر له، وقد كان هذا في الصَّدر الأوّل فاشيًا كثيرًا ثم ماتَتِ الحُفّاظُ[1]، وقلَّ الإملاء.[2]

---

(١) كذا؛ بتأنيث الفعل، وهو صحيح على إرادة معنى الجماعة. فباعتبار أن كلَّ جمعٍ يجوز تأنيثه ـ سوى السلامة المذكّرِ ـ يصح أن يقال: ماتَ الحُفّاظُ، وماتت الحُفّاظُ. وفي هذا يقول الزمخشري:

إنَّ قَومي تَجَمَّعُوا ... وبِقَتْلِي تَحَدَّثُوا

لا أُبالِي بِجَمْعِهِمْ ... كُلُّ جَمْعٍ مُؤَنَّثُ

وانظر: الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (١٠٩٤هـ): «الكليات»، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٩هـ، (ص: ٣٣١).

والخضري: «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل»، نشر: دار الفكر ـ بيروت، ١/ ١٦٤.

(٢) الكتاني، محمد بن جعفر: «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة»، =

وينبغـي أن نُلاحظَ وجودَ فـروقٍ بين الأمالـي، ومجالسِ الحديث، ومجالسِ المذاكرة.

فمجالـسُ الإمـلاء فيهـا مـن الدقّـة والعناية مـا ليس فـي مجالس الحديـث ولا فـي مجالـس المذاكرة.

وقد ألقى الأستاذ عبد السلام هارون شيئًا من الضوء في التفريق من الأمالي والمجالس، فقال: أرى أنّ هناك فرقًا دقيقًا بين هذين اللفظين في أصل استعمالهما، وكلٌّ منهما مَظهَرٌ لِما كان يدور من تدوينٍ لأقوال العلماء والمتصدِّرين للتعليم.

أمّا الأمالي فكان يُمليها الشيخُ أو مَنْ يُنيبُه عنه بحضرته، فيتلقّفُها الطلابُ بالتقييد في دفاترهم. وفي هذا يكون الشيخُ قد أعدّ ما يُمليه، أو يُلقي إلى الطلبة ما يشاء مِن تِلقاء نفسه.

وأمّا المجالس فتختلف عن تلك بأنّها تسجيلٌ كاملٌ لما كان يَحدُثُ في مجالس العُلماء، ففيها يُلقي الشيخُ ما يشاء مِن تِلقاء نفسه، وفيها كذلك يُسأَل الشيخ فيجيب، فيدوَّن كلُّ ذلك فيما يُسَمَّى مجلسًا.[1]

= تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، نشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ١٤٠٦هـ (ص: ١٦٠).

(١) عبد السلام محمد هارون: مقدمة شرح وتحقيق «مجالس ثعلب»، نشر: دار المعارف بمصر (ص: ٢٣) من القسم الأول.

فمجالس الحديث ـ إذًا ـ هي الأقربُ إلى ما يُسمَّى اليومَ بالمُحاضَرات.

وأمّا مجالس المذاكرة فهي التي تَعقُب مجالسَ التحديث والإملاء ـ عادةً ـ، وفيها يَستظهر طلابُ الحديث ما في جَعبتهم من الأحاديث، ويُذاكر بها بعضُهم بعضًا. والغالبُ عليها المسامحةُ والمساهلةُ، فإنّ الغَرَضَ منها شَحذُ الذاكرة، وتقويةُ الحافظة، مع ما يَقعُ فيها من الإغراب وذِكْرِ المُستملَح من الفوائد والأسانيد.

وهذا بخلاف مجالس الإملاء التي يَحرِص فيها الشيخُ والتلاميذ على الدقّة والتيقّظ، واختيار أحسن الموضوعات وأنسبها للمَقام.

* * *

المطلب الثاني: تاريخ نشوء الأمالي

عَرَفَ العربُ ـ قديمًا ـ الإملاءَ بمعناه اللُّغَويّ الذي يتضمّن معنى إلقاء القول على سامعه ليتدبّره ويكتبه.

فالأصل في الإملاء: أن يُلقَى الكلامُ على الكاتب ليكتبَه.

وهذه الطريقة في التعليم والإلقاء قد عَرَفَها العَرَبُ في الجاهلية، ويمكن أن نَستشهد في ذلك بما قاله الشاعر الهُذَليّ مَعقل بن خويلد(1):

فإنّي كما قالَ مُملي الكتا ... بِ في الرِّقِّ إذ خطَّه الكاتبُ

يَرى الشاهدُ الحاضرُ المطمئنُّ ... مِنَ الأمْرِ ما لا يَرى الغائبُ

والفرق بين الإملاء والإلقاء: أنّ الإلقاء: قراءة الكلام ليُحفَظ، والإملاء: قراءته ليُكتَب.(2)

---

(1) «ديوان الهذليين»، نشر: دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٥م، ٣/ ٧٠.

(2) وهذا المعنى هو المستعمل عند العلماء.

وفي «الجعديات» (٢٧١٥): عن شعيب بن حرب قال: جاء زهير إلى شعبة فسأله عن حديث فيه طول أن يُمِلَّه عليه، فأبى شعبة، وقال: أنا أردِّده عليك حتى تحفظَه. فقال زهير: أنا أرجو أن أحفظه، ولكني إلى أن أبلغ البيت يَعرِضُ لي الشك، فلم تكنْ كذا؟ أرحني واسترح مني. قال: يقول شعبة: لا والله، لا يُمكنني. اهـ.

وكان زهير لا يأخذ حديثًا إلا إملاءً. السمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء».

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥].

أي: تُلْقَى عليه مِنْ كتابٍ يَتحفَّظُها؛ لأنَّ صورةَ الإلقاءِ على الحافظِ كصورة الإلقاءِ على الكاتبِ.(١)

وقال تعالى: ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال الحافظ ابنُ كثير: أي: وليُملل المَدينُ على الكاتبِ ما في ذِمَّتِه من الدَّين، ولْيتَّقِ اللهَ في ذلك.(٢)

ثم إنّ مظاهرَ الإملاء بَدَتْ جاليّةً في ما كان رسولُ الله ﷺ يُملي على أصحابه مما كان ينزل عليه من القرآن.

فعَن سَهل بن سعدٍ الساعديّ أنه رأى مروانَ بنَ الحَكَمِ في المسجد، قال: فأقبلتُ حتى جَلَستُ إلى جَنبِهِ، فأخبَرَنا أنَّ زيدَ بنَ ثابتٍ أخبره: أنَّ

---

(١) السمين الحلبي: «الدرّ المصون» ٨/ ٤٥٧.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ): «تفسير القرآن العظيم»، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة ـ الرياض ١٤٢٠هـ ١/ ٧٢٤.

رَسولَ الله ﷺ أملَى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]. فجاءَه ابنُ أمِّ مَكتوم وهو يُمِلُّها عَليَّ. قال: يا رسولَ الله، واللهِ لو أستطيع الجهادَ لجاهدتُ ـ وكان أعمى ـ فأنزل اللهُ على رسوله ﷺ وفَخِذُه على فَخِذِي، فثَقُلَتْ عَليَّ، حتى خِفْتُ أنْ تَرُضَّ فَخِذي، ثُمَّ سُرِّيَ عنه، فأنزَلَ اللهُ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾.(١)

وقد أملى رسولُ الله ﷺ على كُتّابِهِ الكتبَ إلى الملوك(٢)، وفي المصالحة يوم الحديبية(٣)، وغير ذلك.

قال السمعاني: وأمثال هذه الكتب كثيرة، لو ذكرناها لطال الكتاب،

---

(١) البخاري: «الجامع الصحيح»، كتاب التفسير، باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين، ٦/ ٤٧ (٤٥٩٢).

(٢) مثل كتابه إلى قيصر عظيم الروم. انظر: البخاري: «الجامع الصحيح» كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ٨ (٧)، ومسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ): «صحيحه» تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الجيل ـ بيروت، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هِرَقل، ٥/ ١٦٣ (١٧٧٣).

(٣) انظر: البخاري: «الجامع الصحيح» كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٣/ ١٩٣ (٢٧٣٢).

و: ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام (ت: ١٨٢هـ): «سيرة النبي ﷺ»، تحقيق: مجدي فتحي السيد، نشر: دار الصحابة للتراث بطنطا ١٤١٦هـ، ٣/ ٣٢٠.

والمقصودُ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُملِي الكُتُبَ على كُتّابه ـ رضي اللهُ عنهم أجمعين ـ.[1]

وما زال أصحابُ رسول الله ﷺ ورضي عنهم، يُملُونَ على التابعين، مقتفين بذلك سَنَنَ النبي ﷺ.

فعَن يوسفَ بنِ ماهَكَ قالَ: إنّي عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءَها عِراقيٌّ، فقال: أيُّ الكَفَن خير؟ قالت: ويحكَ! وما يَضُرُّك؟ قال: يا أمَّ المؤمنين، أرِيني مُصحفَكِ. قالتْ: لِمَ؟ قال: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القرآنَ عليه؛ فإنّه يُقرَأُ غيرَ مُؤَلَّف. قالَتْ: وما يَضُرُّك أَيَّهُ قرأتَ قَبلُ؟ إنّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورةٌ مِنَ المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتَّى إذا ثابَ الناسُ إلى الإسلامِ نَزَلَ الحَلالُ والحَرامُ، ولو نَزَلَ أوّلَ شيءٍ: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا نَدَعُ الخمرَ أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا نَدَعُ الزِّنا أبدًا. لقدْ نَزَلَ بمكّةَ على محمد ﷺ

---

(١) السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت: ٥٦٢هـ): «أدب الإملاء والاستملاء» تحقيق: ماكس فايسفايلر، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠١هـ، (ص: ١٣).

وانظر فصلًا مهمًا في العمليات الكتابية وما يشبهها وما يضاف إليها، عند الكتاني، محمد عبد الحي: «التراتيب الإدارية» تحقيق: د. عبد الله الخالدي. نشر: دار الأرقم ـ بيروت، ١/ ١٥٠ـ ١٧٠.

وإنّي لجاريةٌ ألعبُ. ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلتْ سورةُ البقرة والنساء إلّا وأنا عندَه. قال: فأخرجَتْ له المُصحَفَ فأمْلَتْ عليه آيَ السُّوَرِ.(١)

وعن ورّادٍ ـ كاتبِ المُغيرة بن شعبة ـ قالَ: أملَى عليَّ المُغيرة بن شعبة في كتابٍ إلى معاوية: أنّ النبيَّ ﷺ كان يَقولُ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ مَكتوبة: «**لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحَمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللَّهُمَّ لا مانعَ لما أعطَيتَ ولا مُعطيَ لما مَنعتَ ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ**».(٢)

وفي عصر التابعين زادت الرِّحلةُ في طلبِ الحديث وسماعِه وكتابتِه، فتوسّعت دائرة الإملاء وازدادت الحاجةُ إليه.

لقد حَفظتْ لنا المصنَّفاتُ كثيرًا من أمالي الصحابة للتابعين، وأمالي التابعين لتابعيهم، بما يطول باستقصائه البحثُ.

فعن ابن جريج، قال: أتيتُ نافعًا وطَرَحَ حقيبةً، فجلستُ عليها،

---

(١) البخاري: «الجامع الصحيح» كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ٦/ ١٨٥ (٤٩٩٣).

(٢) البخاري: «الجامع الصحيح» كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، ١/ ١٦٨ (٨٤٤)، ومسلم: «الصحيح» كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٢/ ٩٥ (٥٩٣).

فأملى عليَّ في ألواحي، قال: سَمعتُ عبدَ الله بن عمر يقول: قال رسولُ الله ﷺ، فذكر الحديث.[1]

قال السمعاني: وفي أتباع التابعين ومن دونهم ويليهم جماعةٌ كانوا يعقدون المجالس للإملاء، منهم: شعبة بن الحجاج[2] - وأكرِمْ به - ويزيد بن هارون، ووكيع بن الجراح، وعاصم بن علي التيمي، وعمرو بن مرزوق الباهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو مسلم الكَجّي، وجعفر بن محمد الفريابي، وغيرهم [من المتأخرين خَلقٌ كثير].[3]

---

(١) الحُميدي، أبو بكر، عبد الله بن الزبير القرشي (ت: ٢١٩هـ): «المسند»، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار السقّا - دمشق ١٩٩٦م، ١/ ٥٣٣ (٦٦٩).

والحديث عند مسلم: «الصحيح»، كتاب البيوع، ٥/ ٩ (١٥٣١)، قال: أملى عليَّ نافع.

وينظر: الرامَهُرمُزي، الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد (ت: ٣٦٠هـ): «كتاب المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي»، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ (ص: ٦٠٢).

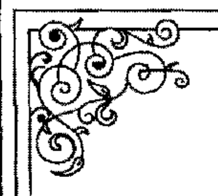
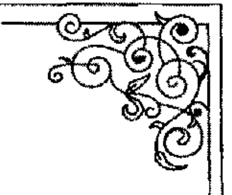
(٢) أملى شُعبة ببغدادَ وحدَها أربعة آلاف حديث.

(٣) السمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: ١٥).

وما بين معكوفين زيادة من: الزركشي، بدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن بهادر الزركشي الشافعي (٧٩٤هـ): «النكت على مقدمة ابن الصلاح»، تحقيق: د. زين العابدين بلا فريج، نشر: أضواء السلف - الرياض ١٤١٩هـ، ٣/ ٦٤٧.

نعم، عُرف بالإملاء جماعةٌ من الحُفّاظ من المتقدمين والمتأخرين، غير مَن ذكرنا، منهم: المَحامليُّ، والخطيبُ البغداديُّ، والحافظ ابن عساكرَ، وآخرون لا يُحصيهم العدُّ، منهم الإمام الحافظ أبو عمرو بنُ الصلاح، وبه خُتِم الإملاءُ وانقطع زمنًا طويلًا، حتى أحياه الحافظُ زين الدين العراقيُّ، ثم تلاه الحافظُ ابن حجر، ثم السَّخاويُّ، والسُّيوطيُّ، وبه انقطع الإملاءُ، إلّا ما كان مِن الزَّبيدي، والله المُستعان.



المبحث الثاني

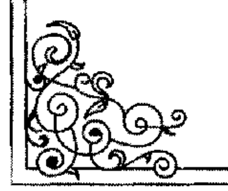
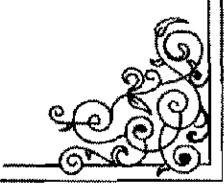
مجالس الإملاء.. فضلها وفوائدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مجالس الإملاء، فضلُها والحثُّ على عَقْدها.

المطلب الثاني: فوائدُ مجالس الإملاء.

* * *

المطلب الأول: مجالس الإملاء، فضلُها والحثُّ على عَقْدِها

حثَّ العلماءُ على عَقد هذه المجالس وعلى حضورها، فقال الخطيب في «الجامع»: يُستَحَبُّ عَقْدُ المَجالسِ لإملاءِ الحَديثِ؛ لأنَّ ذلكَ أعلى مراتبِ الرّاوينَ، ومِنْ أحسَنِ مَذاهِبِ المُحَدِّثينَ، مع ما فيهِ مِنْ جَمالِ الدِّينِ، والاقتداءِ بسنَنِ السَّلَفِ الصّالحين.(١)

وقال الحافظ ابن الصلاح: ويُستَحَبُّ للمحدِّث العارفِ عقدُ مجلسٍ لإملاء الحديث؛ فإنه من أعلى مراتب الراوين، والسماعُ فيه من أحسن وجوه التَّحمُّل وأقواها.(٢)

وقال الحافظ أبو طاهرٍ السِّلَفيّ ـ نظمًا ـ:(٣)

---

(١) الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ): «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، تحقيق: د. محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٠٣هـ، ٢/ ٥٥.

(٢) ابن الصلاح، تقي الدين أبي عَمرو عثمان بن عَبدِ الرّحمن الشَّهْرَزُوْريّ (ت: ٦٤٣هـ): «علوم الحديث»، تحقيق: طارق عوض الله، نشر: دار ابن القيم ـ الرياض، دار ابن عفّان ـ القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٤/ ٣٠٠.

(٣) السِّلَفي، أبو طاهر، أحمد بن محمد السِّلَفي الأصبهاني (ت: ٥٧٦هـ): «المجالس الخمسة ـ السَّلَماسية»، تحقيق: مشهور حسن سلمان، نشر: دار الصميعي ـ الرياض ١٤١٤هـ (ص: ٥٣).

واظبْ عَلى كَتْبِ الأمالي جاهدًا | مِنْ أَلسُنِ الحُفّاظِ والفُضَلاءِ
فأجَلُّ أنواعِ السَّماعِ بأسْرِها | ما يَكتُبُ الإنسانُ في الإملاءِ

وقد كان للحفّاظ من أهل الحديث اليدُ الطولى في عقد هذه المجالس، وبهم اشتهرتْ، وعنهم انتشرتْ، بل بهم وبمجالسهم تجمّلت الدُّنيا وتزيّنتْ.

فرغب فيها العلماءُ، وحضرها الناسُ من الطلبة والعامة بل حتى السلاطينُ والأمراء.

فهذا الخليفة أبو جعفر المنصور، وقد قيل له: هل بَقِيَ من لَذّاتِ الدُّنيا شَيءٌ لم تَنَلْه؟ قال: بقيَتْ خَصلةٌ؛ أنْ أقعُدَ في مِصْطَبةٍ وحولي أصحابُ الحديث، فيقول المُستملي: مَنْ ذَكرتَ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ؟

فغدا عليه الندماءُ وأبناء الوزراء بالمَحابِرِ والدَّفاتر.

فقال: لستُم بهم، إنّما هم الدَّنِسةُ ثيابُهم، المتشقّقةُ أرجلُهم، الطويلةُ شعورُهم، بُرُدُ الآفاق ونَقَلَةُ الحديث.[1]

وهذا المأمون كان يقول: ما أشتهي من لَذّات الدُّنيا إلّا أنْ

(١) السمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: ١٩).

يَجتمِعَ أصحابُ الحديث عندي، ويَجيءَ المُستملي فيقولَ: مَن ذَكرتَ أصلحَكَ اللهُ؟[1]

لذا عُنِيَ العلماءُ بهذه المجالس أشدَّ العناية، وصُنِّفَت فيها وفي آدابها التَّصانيفُ، وكثُرت مجالسُ التَّحديث والإملاء حتّى طَبّقت الدُّنيا وملأت العالمَ.

كيف لا؟! ومجالسُ الإملاء عامرةٌ بتلاوة كتاب الله عز وجلَّ، ورواية حديث رسول الله ﷺ، ونشر العلم الشرعي في الناس.

أنشد الحافظُ ابنُ عساكرَ، وهو من نَظمه:[2]

لَقولُ الشَّيخِ أنبأني فلانٌ	وكانَ منَ الأئمّةِ عَنْ فُلانِ
إلى أنْ ينتهي الإسنادُ أحلَى	لِقَلْبي مِنْ مُحادَثة الحِسانِ
ومُستملٍ على صوتٍ فصيحٍ	ألذُّ لديَّ منْ صَوتِ القِيانِ
وتَزييني الطروسَ بنَقشِ نِقسٍ[3]	أحبُّ إليَّ مِنْ نَقش الغَواني

---

(١) الخطيب: «الجامع» ٢/ ٥٥.

(٢) القنوجي، أبو الطيب، صديق حسن خان (ت: ١٣٠٧هـ): «الحطة في ذكر الصحاح الستة»، تحقيق: علي حسن الحلبي، نشر: دار الجيل ـ بيروت، (ص: ٩٠).

(٣) النِّقسُ: المِداد الذي يُكتَب به. وتحرفتْ في المطبوع إلى نقش.

وتخريجُ الفوائدِ والأمالي | وتسطيرُ الغرائبِ والحِسانِ
وتصحيحُ الغوالِ منَ العوالي | بنيسابورَ أو في أصفهانِ
أحبُّ إليَّ منْ أخبارِ لَيلى | وقيسِ بن الملوَّح والأغاني
فإنَّ كتابةَ الأخبارِ تَرقَى | بصاحِبِها إلى غُرَفِ الجِنانِ
وحِفظُ حديثِ خيرِ الخَلقِ ممّا | يُنالُ بهِ الرِّضا بعدَ الأماني
فأجرُ العِلمِ يَنمو كلَّ حينٍ | وذِكرُ المرءِ يَبقى وهو فانِ

ـ مجالسُ إملاءٍ يحضرها الألوف:

وقد اشتهر في العلماء من كان يَقعد لمجالس الإملاء، فكان يجلس إليه آلافُ الطلبة بيدهم المحابرُ، وتلك ـ واللهِ ـ جَنّةٌ من جنان الأرض!

من أجل ذلك كان المحدِّثون يجعلون من الرِّحلةِ إلى بغداد مَغنمًا، إذ يجدون في مجالس الإملاء فيها ما يتطلّع إليه الأشراف والأمراء وسادة الناس. وكان حقًّا أن يقال: من لم يرَ بغدادَ لم يرَ الدُّنيا!

قال أبو حاتم الرازي: حضرتُ مجلسَ سُلَيمانَ بنِ حَرب ببغداد، فحزَروا مَنْ حَضَرَ مجلسَه أربعين ألفَ رجلٍ، وكان مجلسُه عند قصر المأمون، فبنى له شبهَ مِنبرٍ، فصَعد سُليمان، وحضر حولَه

جماعةٌ من القُوّاد عليهم السَّوادُ، والمأمون فوقَ قصره، وقد فُتِحَ بابُ القَصر، وقد أُرسِل سِترٌ شفٌّ وهو خَلفَه، وكَتَبَ ما يُملي.[1]

وقال يحيى بن أبي طالب: سمعتُ يزيدَ بنَ هارون في المجلس ببغداد، وكان يقال: إنّ في المجلس سبعين ألفًا.[2]

وأعجب من ذلك ما بلغه عددُ المستملين في مجلس إملاء الحافظ جعفر بن محمد الفِريابيّ، فقد قيل: إنهم كانوا ثلاثمائة وستة عشر مستمليًا.[3]

وذكر أبو القاسم منصور بن جعفر بن مُلاعب: أنّ إسماعيل بن علي العاصمي حدّثهم: قال: حدثنا عمر بن حفص قال: وَجَّهَ المعتصمُ مَنْ يَحزِرُ مجلسَ علي بن عاصم في رَحْبة النَّخل التي في جامع الرُّصافة، قال: وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المُسَقّطات، وينتشر الناسُ في الرَّحبة وما يَليها، فيَعظُمُ الجمعُ جدًّا، حتى سمعتُه يومًا يقول: حدثنا الليث بن سعد، ويُستعاد، فأعاد أربع عشرة مرة، والناس لا يسمعون.

---

(١) الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ): «سير أعلام النبلاء» أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٠/ ٣٣١.

(٢) الخطيب: «الجامع» ٢/ ٥٦، والسمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: ١٦).

(٣) السمعاني: المصدر السابق، (ص: ١٧ـ١٨).

قال: فكان هارون المُستملي يركب نخلةً معوجّة، ويَستملي عليها، فبلغ المعتصمَ كثرةُ الجَمع، فأَمَرَ بحَزْرِهم، فوجّه بقطاعي الغنم فحَزَروا المجلس عشرين ألفًا ومائة ألف!![1]

وقد صحَّ أنّ الإمام الحافظ أبا مسلمٍ الكجّيَّ صاحب «المسند» أملى الحديثَ في رحبة غسّان، وكان في مجلسه سبعة مُستملين يبلّغ كلُّ واحد منهم صاحبَه الذي يليه، وكتب الناسُ عنه قياماً بأيديهم المَحابر ثم مُسِحت الرَّحبة وحُسِب مَن حَضَرَ بمَحبرة، فبلغ ذلك نيّفاً وأربعين ألف مَحبرة سوى النظّارة ممن ليس الاستملاءُ مِن شُغله.[2]

وقال ابن عَدي: رأيتُ مجلسَ الفريابي يُحزَر فيه خمسةَ عشرَ ألفَ مَحبَرة، وكنّا نحتاج أن نبيتَ في موضع المَجلسِ لنتَّخذَ من الغَدِ مَوضِعَ مَجلسٍ![3]

---

(١) الخطيب: «الجامع»، والسمعاني: المصدر السابق، (ص: ١٦).

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ): «تاريخ مدينة السلام بغداد» تحقيق: د. بشار عواد، نشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٢هـ، ٧/ ٣٧، والذهبي: «تاريخ الإسلام» ٦/ ٩١٢، والعراقي، زين الدين، أبو الفضل أحمد بن الحسين: «الأربعون العشارية» (ص: ١٢٢).

(٣) ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني: «الكامل في ضعفاء الرجال»، =

ونحوه ما نجده في تراجم الأئمة الحفاظ أبي علي الماسرجسي (٢٤٠هـ)، والإمام الحافظ إبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥هـ)، وغيرهم.

تجدُ طَرفًا من أخبارهم في «الجامع لأخلاق الشيخ وآداب السامع» للخطيب، و«أدب الإملاء والاستملاء» للسمعاني.

و:

تلكَ المَكارمُ لا قَعبانِ من لَبَنٍ.. !

* * *

= تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ٦/ ٤٠٧.

المطلب الثاني: فوائد مجالس الإملاء

لا شك أن مجالس الإملاء عظيمة الفوائد، غزيرة العوائد. من أجلِ ذلك حثَّ الأئمةُ والعلماءُ على عَقدها والتصدّي للرواية فيها.

وما ذاك إلا لِما فيها من الفوائد والفضائل الجليلة.

وقد أجمل الإمام الرافعيّ فوائدَ الأمالي إجمالاً حسناً رائقاً، فقال في آخر أماليه: إملاءُ الحديثِ طريقةٌ مَسلوكة في القديم والحديث، وفيه نَيلُ فضيلةِ التبليغِ والروايةِ عن رسول الله ﷺ على ما أَمَرَ به ونَدَبَ إليه.. «**بلّغوا عنّي ولو آية**».

وفيه أيضًا فائدة تقييد العلم بالكتاب.

قال: وهاتان الفائدتان الجسيمتان تحصلان في الإملاء متعاونتَينِ، لا كالتبليغ والسَّماع بلا كتابة، أو الكتابةِ بلا سماع.

ثم يختص الإملاء بفوائدَ أُخَرَ:

إحداها ـ وهي العظمى ـ: صحّةُ السَّماع وبُعدُه عن الخطأ والتصحيف، لأنّ المُملي يتثبتُ أولاً ويضبط، ثم يتأنّى عند الإملاء لتنصَبَّ الكلمةُ بَعد الكلمةِ في آذان السامعين، ثم ليكتبوبها.

وأين يَبلُغ من ذلك سماعُ ما يُسرِع القارئ بقراءته فتزِلُّ عن لفظِه

الكلمةُ، أو بعضُها، أو إعرابُها، أو عن سمع السامعين أو عنهما جميعاً.

وقد تُصحَّف فيما يَقرأ إمّا عن جهل، أو غَلَط والتباس، أو غَفلة وذُهول، ولا يتنبّه له السامعون من الشيخ وغيره، ولا يتميّز موضع التصحيف عن غيره، وسواءٌ تميّز أو لم يتميّز، فإنْ سَمِعه مصحّفاً وروى، فإما أن يَروي كما سمع فقد سمع غلطاً وروى غلطاً، وإن روى على الصواب فقد كذب في قوله: أخبرني فلان بكذا أو: سمعتُ منه كذا.

وهذا كلُّه في الراوي والسامع اللّذَينِ لهما دراية وتمييز، وإلا فلا يدري هذا ما يسمع، وهذا ما يُسمِع. وما أقلَّ فائدةَ مثلِ هذا السماع.

والثانية: أن الإملاء يشتمل ـ غالباً ـ بعد رواية الحديث على تصرُّفٍ؛ إما من جهة جمعِ طُرقه وشواهده، أو ذكر أحوال رواته، أو الفوائد المتعلّقة بمتنه، فيكون نشاط النفس لأخذها والانتفاع بها أكثرَ وأتمَّ.

والثالثة: ما فيه من زيادة التفهيم والتفهّم للمُذاكرة والمُراجَعة في تضاعيف الإملاء، والكتابة والمُقابلة، وقد يدعو إليهما التأمّل والفكر في تلك المُهلة.[1]

---

(١) الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني (ت: ٦٢٣هـ): «الأمالي الشارحة =

وكذلك، فإنَّ من فوائد مجالس الإملاء وآثارِها أنها تعالجُ بعضَ الحالات التي تمرُّ بها الأمة، سواءٌ كانت ظروفاً بيئيةً، أو أحوالاً سياسيةً.

إذ إننا نجد بعضَ أصحاب الأمالي يَخصُّون بعضَ مجالسهم للحثِّ والتذكير بما تحتاجه الأمّة من الاستعداد لجهاد العدوّ، أو تذكير الناس بالتوبة والاستغفار، والاستسقاء لرفع القحط والجدب، واستنزال رحمة الله بالقَطْر.

فمن ذلك: أننا نجد الحافظَ المَحاملي يُملي مجالسَ عامةً في الحديث، غير أنه يخصّ مجلسَ الإملاء في يوم الأحد سلخَ جمادى الأولى سنة (٣٢٩هـ) في باب ما روي في الاستسقاء[1].

وبالنظر إلى تاريخ إملاء هذا المجلس نلحظ أنه عُقد في أول شهر آذار سنة (٩٤١م)، وهذا يفيد كونَ المجلس قد عُقد في آخر فصل الشتاء، وهذا مظنةٌ لوجود حاجة إلى الاستسقاء في بغداد، دعتْ الإمامَ المَحامليَّ إلى تخصيص هذا المجلس لهذا الغرض.

= لمفردات الفاتحة»، تحقيق: وائل زهران، نشر: الفاروق الحديثة، القاهرة، (ص: ٤٥٨ ـ ٤٦٠). وقارن بالزركشي: «النكت على مقدمة ابن الصلاح» ٣/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨.

(١) المَحاملي، الحسين بن إسماعيل بن محمد (ت: ٣٣٠هـ): «أمالي المحاملي»، رواية ابن مَهدي الفارسي (٤١٦هـ)، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر: دار النوادر ـ دمشق (ص: ١٠٧).

لذا، فإنّ صاحب الأمالي يُراعي الزمانَ الذي يَعقِد فيه مجالسَه، وقد رأينا بعضَ أصحاب الأمالي ينتقي من أحاديثه التي يُمليها ما يناسب المقام فيذكّر بمناسبة، أو يحضُّ الناسَ على استقبالها.

ومن ذلك أننا نلحظ الحُرفيَّ يُعنَى بتذكير الناس بفضل الصيام في رمضان، وهو في آخر مجلس من مجالس شهر شعبان، في السادس والعشرين منه سنة (٤٢٢هـ)، ثم يَقطَعُ الإملاءَ في رمضان ـ على عادة كثير من المحدِّثين ـ ليَعودَ إلى عَقدِ مجالس الإملاء في الأول من شوّال[1].

بل إنه يُضمِّنُ مجلسَه الذي عقده في التاسع والعشرين من شهر رجب التذكيرَ بصيام شهر شعبان، ليستعدَّ الناسُ لاستقباله وصيامه[2].

وكذا الحال في ما وقفنا عليه من أمالي الحافظ ابن عساكر، فإننا نجد رعايته للزمان والحال ظاهرةً في كثير من مجالسه.

فقد رأيناه يخصّ يومين في شهر رجب ليُمليَ فيهما مجلسين في فضل هذا الشهر، في يومَي الخميس على مدار أسبوعين، فيملي في

---

(١) الحُرفي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد البغدادي (٤٢٣هـ): «أمالي أبي القاسم الحرفي»، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، نشر: الدار الأثرية، عمّان (ص: ٣٩١) الأحاديث (٦٠ـ٧٨) و(ص: ٤٢٥).

(٢) الحُرفي: المصدر السابق، (ص: ٣٦١) الحديث رقم (٣٩).

الخامسَ عشرَ، ثم في الثاني والعشرين منه مجلسين في فضل رجب.

ووجدناه يحثُّ الناسَ على الاستعداد لصيام رمضان، فيُملي في السابع والعشرين من شهر شعبان مجلسَه الخامس بعد الأربعمائة في فضل شهر رمضان.

وكذلك نراه يذكّر الناسَ بفضل يوم عرفة، فيَعقد مجلسَ الإملاء في فضله، في بداية شهر ذي الحجة.

وقد عُرف عن الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ كذلك ـ عنايتُه الفائقةُ بالأمالي، وكان له في ذلك تفنُّنٌ فاقَ فيه أهلَ عَصرِه.

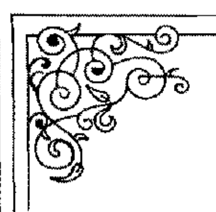
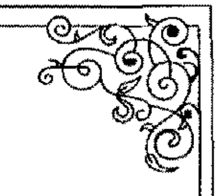
ومن أماليه التي اشتهر بها: الأمالي المُطلَقة. وقد وصفها الحافظ السخاوي بأنها تُعنَى بالزمان ومناسبة الحال، فهي مجالس «لم يَتقيَّد فيها بكتاب، بل في الغالب يحرِصُ على المناسبات في الأزمان والوقائع»[1].

والحقيقة أن فوائد الأمالي المتمثّلة بما قدّمناه كثيرةٌ متعدِّدة يصعب حصرُها، ويطول استقصاؤها، غير أننا ذَكَرنا إلماحاتٍ تضيء للباحث، وتفتح باباً للبحث والدراسة، وهو قصدُنا في هذا المدخل، والله الموفّق.

* * *

---

(١) السخاوي: «الجواهر والدرر» ٢/ ٥٨٢.

المبحث الثالث:

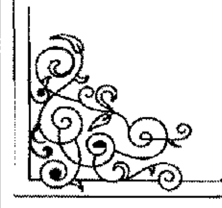
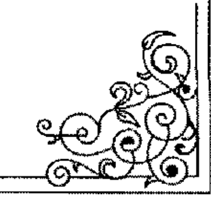
صفة مجلس الإملاء وآدابه

وفيه مطلبان:

الأول: صفة مجالس الإملاء.

الثاني: الآداب المرعية في مجالس الإملاء.

* * *



المطلب الأول: صفة مجالس الإملاء

أولاً: موضعها ومكانها:

مجالس الإملاء تُعقَد ـ غالبًا ـ في المساجد الكبرى، كجامع المنصور في بغداد. وكان الأئمة والعلماء يجعلون خيرَ أمنياتهم وطموحهم أن يُحدِّثوا في جامع المنصور.

وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه لما حَجَّ شَرِبَ من ماء زَمزمَ ثلاثَ شَرْباتٍ، وسأَلَ اللهَ ثلاثَ حاجاتٍ: أن يُحدِّثَ بـ «تاريخ بغداد» بها، وأن يُمليَ الحديثَ بجامع المَنصور، وأن يُدفَن عند بشرٍ الحافي. فقُضِيَت الثلاث.[1]

وكذا في الحَرَم المَكّي، والمَدَني، ومساجد الشام، ومِصرَ، ونيسابورَ، وغيرِها.

فإذا ضاق المسجد عن أهله جلس المُملي في رَحبةٍ قريبةٍ منه للإملاء.

وربما عَقَدَ بعضُ العُلماء مجالسَ الإملاء في بيوتهم، إما لقلّة عدد الطلبة، أو حبًّا في الخمول وعدم الشُّهرة، وربما كان ذلك بسبب الخوف من الفتنة أحيانًا!

---

(١) الذهبي: «السير» ١٨/ ٢٧٩.

قال تمّام: كان القاضي أبو الحسن ابنُ حَذْلَم له مجلس في الجمعة، يُملي فيه في داره.[1]

وابن بالويه المزكّي النيسابوري كان من وجوه البلد، عَقَد مجلس الإملاء في داره.[2]

أما سعدٌ الزنجاني؛ فكان يملي بمكّة في بيته خوفًا من دولة العُبيدية!![3]

وما ذاك إلا لِما في هذه الأمالي من جمعٍ لكلمة المسلمين، وتبصيرهم بدينهم، وحثِّهم على الاستقامة والخير، فأنَّى لأهل الأهواء أن يستسيغوها؟!

فهذا فخر الإسلام عبد الواحد بن إسماعيل قد أملَى بآمُل، وقُتِل بعد فراغه من مجلس الإملاء، قتلته الإسماعيلية.[4]

قال السُّبكي: مات شهيدًا بعد فراغه من الإملاء.[5]

---

(١) الذهبي: «السير» ١٥/ ٥١٥.

(٢) الذهبي: «السير» ١٧/ ٢٤١.

(٣) الذهبي: «السير» ١٨/ ٣٨٧.

(٤) الذهبي: المصدر السابق، ١٩/ ٢٦٢. وفيه: قال السِّلَفي: بلغنا أنه أملى بآمُل، وقُتِلَ بعد فراغه من مجلس الإملاء **بسبب التعصُّب في الدين في المُحرَّم!**

(٥) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي: «طبقات الشافعية الكبرى» تحقيق: محمود محمد الطناحي، نشر: دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، ٧/ ١٩٥.

ثانياً: أيامها وزمانها:

كان كثيرٌ من أهل العلم يجلس للإملاء في أيامٍ مخصوصة، كأن يكون يوم الاثنين، أو الجمعة، أو أكثر من يوم في الأسبوع.

فقد كان أبو العباس الأصمّ يُملي عشيةَ كلِّ يوم اثنين.[1]

وكان أبو نُعَيم الحافظ يَعقِد مجلسَ الإملاء في كلّ يوم خميس.[2]

وكان لأبي بكرٍ النجّاد بجامع المنصور حلقة قبل الجمعة للفتوى، وحلقة بعد الجمعة للإملاء.[3]

وكان للفَراويّ بمسجد المُطرّز مجلسُ إملاء يوم الأحد.[4]

ومنهم من كان له مجلسان في الأسبوع، كأبي العبّاس الحِيري النيسابوري؛ كان له مجلس للإملاء في كل اثنين وخميس.[5]

وكان يوم الثلاثاء يومًا حافلاً بأمالي الحافظ ابن حجر، فإنه كان

---

(١) الذهبي: «السير» ١٥/ ٤٥٨.

(٢) علي بن المفضّل: «الأربعون على الطبقات» (ص: ٤٧١).

(٣) الذهبي: السير، ١٥/ ٥٠٤.

(٤) الذهبي: المصدر السابق، ١٩/ ٦١٧.

(٥) الذهبي: المصدر السابق، ١٦/ ١٩٥.

يتعاهد مجالسَ الإملاء في هذا اليوم أكثرَ من غيره[1]، ولم يزل يُملي في هذا اليوم إلى قبيل وفاته، وكان آخر مجلس له في الإملاء يوم الثلاثاء، رحمه الله تعالى.[2]

ثم إنّ من العلماء المُكثرَ والمُقلَّ، بحسب الهِمّة أو القُدرة، أو المَنزلة.

ففي حين نرى ابنَ المُسلمة ـ مع ثقته ـ يملي في العام مجلسًا واحدًا[3]؛ نرى في ترجمة الإمام أبي القاسم التَّيميّ الأصبهاني أنه أملى ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلس، وكان يُملي على البَديهة.[4]

* * *

---

(١) يظر: السخاوي، شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ): «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، نشر: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ، ٢/ ٥٨٢، وفي مواضع شتى.

(٢) السخاوي: المصدر السابق ٢/ ١١٨٧.

(٣) الذهبي: «السير» ١٧/ ٣٤١.

(٤) الذهبي: المصدر السابق ٢٠/ ٨٢.

ثالثاً: صفتها وهيئتها:

يُستحبُّ افتتاحُ المجلس باستنصات الناس.

والأصل في استنصات الناس ما ثبت في «صحيح البخاري» كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، عن جرير: أنّ النبي ﷺ قال له في حَجّة الوداع: «**استنصت الناس**».(١)

ثم يفتتح بقراءة قارئٍ لشيءٍ من القرآن العظيم. فإذا فرغ استنصت المُستملي أهلَ المجلس إن كان فيه لَغْطٌ، ثم يُبسمِل، ويَحمد اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ، ويُصلّي على رسول الله ﷺ، ويتحرّى الأبلغَ في ذلك، ثم يُقبِل على المُحدِّث ويقول: من ذكرتَ، أو: ما ذكرتَ، رحمكَ اللهُ، أو: غَفَرَ اللهُ لكَ، أو نحوَ ذلك.(٢)

بعدها يبدأ المملي بإملاء أحاديثه بما فتح الله عليه مما تجهز لروايته.

---

(١) البخاري: «الجامع الصحيح» (١٢١).

(٢) ابن الصلاح: «علوم الحديث» ٤/ ٣٠٣.

والبداءة بقول المُملي أو المُستملي: رحمك الله= عُرفٌ قديم. وقد روي عن ابن أبي ليلى أنه قال: ما على أحدكم إذا أملى أن يقول: «اكتب، رحمكَ الله» فيملي خيرًا. أبو نعيم: «حلية الأولياء» ٤/ ٣٥٢.

والأصل في ذلك أنه ينتقي من الأحاديث ما يُنتفَع به، فإنّ مجالسَ الإملاء ـ في الغالب ـ لا تختصُّ بطلبة الحديث، فلا بد من انتقاء أحاديثه، فمن ذلك:

ـ أن يختار الأحاديث المناسبة لمجالس الإملاء، فإنَّ فيها مَن لا يفقه كثيرًا من العلم.

ـ أن يحدِّثهم بأحاديث الزهد والرِّقاق ومكارم الأخلاق ونحوها.

ـ أن يجتنب من الأحاديث ما لا تحتمله عقولُهم، وما لا يفهمونه، وأحاديثَ الرُّخَص والإسرائيليات، وما شجر بين الصحابة من الخلاف ـ لئلا يكون ذلك فتنة للناس ـ وأن يجتنب الرواية عن كذّاب أو فاسق أو مبتدع.

ـ أن يختار من الأحاديث ما علا سندُه وقَصُر متنه، ويتحرّى المستفادَ منه.

ـ أن يُنبّه على صحة الحديث أو حسنه أو ضعفه أو علّته إن كان معلولًا، وعلى ما فيه من علوٍّ وجلالةٍ في الإسناد وفائدةٍ في المتن أو السند، كتقديم تاريخ سماعه وانفراده عن شيخه وكونه لا يوجد إلا عنده، ونحو ذلك.

ـ أن يُبيّن ضبطَ ما يُشكِل من الأسماء الواردة في السند أو المتن،

وكذلك الألفاظ الغريبة، يَضبطها ويبيّن معناها، وكذلك المعاني الغريبة والمُستشكَلة الواردة في المتن يشرحها ويحل إشكالها.

ـ وكان من دأبِ بعضهم أن يختم مجلس الإملاء بشيءٍ من طُرَف الأشعار وحكايات ونوادرَ وإنشاداتٍ بأسانيدِها، وأَولاها ـ عند أكثرهم ـ ما كان في أبواب الزُّهد والآداب ومكارم الأخلاق، أو ما كان مناسباً لما تقدّم من الأحاديث التي أملاها.

وقد كان للحافظ ابن عساكر شِعرٌ حَسَنٌ يُمليهِ عَقيبَ كثيرٍ من مجالسه.[1]

وكان أبو القاسم النيسابوري الشُّجاعي الجَميلي الشاعر المُفلِق المجوِّد يعقد مجالس الإملاء، ويختمها بأشعاره الرائقة.[2]

ثم يُستحَبُّ للمُستملي إذا فرغ من الاستملاء أن يدعوَ للحاضرين، ولمن كتب بالرحمة والمغفرة.

وبعد الانتهاء من الإملاء لا بدَّ من مقابلة ما أملى، وإتقانه، وإصلاح ما فسد منه بزَيغ القلم وطغيانه.[3]

---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ٢٠/ ٥٧٠.

(٢) الذهبي: «تاريخ الإسلام» ١١/ ٣١٣.

(٣) انظر: ابن الصلاح: «علوم الحديث» ٤/ ٣٠٦.

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ لمجلس الإملاء ثلاثةَ أركانٍ رئيسة، وهي:

١. **المُملي**.

٢. **والمُستملي**.

٣. **والمُمْلَى عليه (الكاتب)**.

١. **أما المُملي**، فهو الشيخ العالم الذي يَتصدّى للإملاء.

وعادةً ما يكون هذا العالِمُ قد بلغ من الحفظ والإتقان وسَعة الاطّلاع ما يؤهّله لعقد مجالس الإملاء. إذ الإملاءُ من أعلى مراتب الراوين، ولا يتصدى للإملاء ـ عادةً ـ إلا جهابذةُ النقاد ومَهَرةُ الحُفّاظ.

قال الحافظ السيوطي: طريقة الإملاء أعلى وظائف حُفّاظ الحديث.[1]

ثم إنّ المُمليَ قد يُملي من حفظه، وهذا إذا كان من جهابذة الحفّاظ وكبار الأئمة، فإنه يُقبل منه ويُمدَح عليه.

---

(١) انظر: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ): «المُزهِر في علوم اللغة»، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، نشر: مكتبة دار التراث ـ القاهرة، ٢/ ٣١٣.

ومن هؤلاء: الإمام الحافظ الجَبَل أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري[1].

ومنهم: الإمام إسحاق بن راهويه. قال أبو داود الخَفّاف: سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول: لكأنّي أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفًا أَسرُدها.

قال: وأملى علينا إسحاق أحدَ عشرَ ألفَ حديثٍ مِن حِفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفًا، ولا نقص حرفًا.[2]

وكان قد أملى «المسند» كلَّه حفظًا.[3]

ومنهم: الإمام الحافظ سعيد بن منصور. قال حرب الكرماني: أملى علينا سعيد بن منصور نحوًا من عشرة آلاف حديث من حفظه.[4]

ومنهم: أبو بكر بنُ أبي داود. قال ابن شاهين: أملى علينا ابن أبي داود سنين، وما رأيتُ بيده كتابًا، إنما كان يُملي حفظًا، فكان يقعد على

---

(١) انظر: الخطيب البغدادي: «تاريخ مدينة السلام» ٢/ ٣٣٥، والذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٤٠٩.

(٢) الذهبي: المصدر السابق، ١١/ ٣٦١. وقال ـ معلّقًا ـ: فهذا ـ واللهِ ـ الحفظُ.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ١١/ ٣٧٤.

(٤) الذهبي: المصدر السابق، ١٠/ ٥٨٧.

المنبر بعدما عَمي، ويقعد دونَه بدرجةٍ ابنُه أبو مَعمَر ـ بيده كتاب ـ فيقول له: حديث كذا، فيسرده مِن حِفظه، حتّى يأتي على المجلس.(١)

ومنهم: ابن الأنباري. قال أبو علي التنوخي: كان ابن الأنباري يُملي مِن حِفظه، ما أملى من دَفتَرٍ قطّ.(٢)

ومنهم: الإمام الحافظ أبو عبد الله الخُتُّلي. قال الخطيب البغدادي: كان يحفظ خمسين ألف حديث، ويُملي مِن حِفظه.(٣)

ومنهم: الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني. قال أبو بكر البرقاني: كان الدارقطني يُملي عَليَّ العِلَلَ مِن حِفظه!!(٤)

وقد سأل الخطيبُ أبا بكر البرقانيَّ: هل كان أبو الحسن يُملي عليك العلل من حفظه؟ قال: نعم، أنا الذي جمعتُها، وقرأها الناس من نسختي.(٥)

---

(١) انظر: الذهبي: المصدر السابق، ١٣/ ٢٢٤ـ ٢٢٥.

(٢) الذهبي: المصدر السابق، ١٥/ ٢٧٥.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ١٥/ ٤٣٦.

(٤) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٤٥٥.

وقد علّق الذهبي على ذلك، فقال: إنْ كان كتاب «العلل» الموجود قد أملاه الدارقطني مِن حفظه ـ كما دلّت عليه هذه الحكاية ـ فهذا أمر عظيم يُقضَى به للدارقطني أنه أحفظ أهل الدنيا، وإن كان قد أملى بعضه مِن حِفظه فهذا ممكن.

(٥) الذهبي: المصدر السابق، ١٦/ ٤٦٠.

ومنهم: الحافظ ابن مردويه، فقد كان يُملي حفظًا بعدما عَمِي.[1]

ومنهم: ابن دُوْسْت. قال الخطيب: كان محدِّثًا مُكثرًا، حافظًا عارفًا، مَكَثَ مدّةً يُملي مِن حِفظه بجامع المنصور بعد أبي طاهر المُخلِّص.[2]

ومنهم: أبو بكر العَطّار مُستملي الحافظ أبي نُعيم، كان من الحُفّاظ، يُملي مِن حِفظه.[3]

غير أنّ من العلماء مَن كان يتورّع عن ذلك مخافة الوَهم والغَلط، ثم إنه أبعد عن مَظنّة الرياء والعُجْب.

فمن كان له أصول مُتقَنة فإنه يُظهِرها ويُملي منها، فإنّها من أحسن حديثه.

ومن هؤلاء: الإمام أحمد بن حنبل، كان ـ مع إتقانه وقوّة حفظه ـ لا يحدِّث إلا مِن كتاب.

قال عبد الله بن الإمام أحمد: ما رأيتُ أبي رحمه الله ـ على حفظه ـ حَدَّثَ من غير كتاب إلا أقلَّ مِن مائة حديث.[4]

---

(١) الذهبي: المصدر السابق، ١٧/ ٣٠٩.

(٢) الذهبي: «السير» ١٧/ ٣٢٣.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ١٨/ ٣٣٩.

(٤) السمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: ٤٧).

ومنهم: الإمام الحافظ أبو غسّان النَّهدي. قال أبو حاتم الرازي: كان أبو غَسّان يُملي علينا مِن أصله، وكان لا يُملي حَديثًا حتَّى يَقرأه.[1]

ومنهم: أبو العبّاس الأصمّ، كان يُملي مِن أصوله.[2]

ثُمّ إنّ الأصل أنه يُراجِع ما سيُمليه قَبلَ إملائه.

ومن شيوخ الإملاء مَن كان يَستعين ببعض مَهَرة الحفّاظ بتخريج أحاديثِ مَجالسه قبل إلقائها.

قال أبو بكرٍ الخَلّال: كان الأثرم جليلَ القدر، حافظًا. وكان عاصم بن علي لما قَدِمَ بغدادَ طلبَ رجلًا يُخرّجُ له فوائدَ يُمليها، فلم يجد في ذلك الوقت غير أبي بكر الأثرم. فكأنه لما رآه لم يقع منه موقعًا لحداثة سنِّه.

فقال له أبو بكر: أخرِجْ كُتبَك. فجعل يقول له: هذا الحديث خطأ، وهذا غلط، وهذا كذا.

قال: فسُرَّ عاصم بن عليٍّ به، وأملى قريبًا من خمسين مجلسًا.[3]

---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٤٣١.

(٢) الذهبي: المصدر السابق، ١٥/ ٤٥٨.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ١٢/ ٦٢٥.

٢. المُستَملي.

إذا كَثُر الجَمعُ على المُملي فينبغي أن يتّخذ مُستمليًا يُبلِّغ عنه، اقتداءً بالسلف[١].

وينبغي أن يتخيّر للاستملاء أفصحَ الحاضرين لسانًا، وأوضحَهم بيانًا، وأحسنَهم عبارةً، وأجودَهم أداءً.[٢]

والفائدة في استملاء المُستَملي: تَوَصُّلُ من يسمع لفظَ المُملي على بُعدٍ منه إلى تَفهُّمِه وتَحقُّقِه؛ بإبلاغ المُستَملي.[٣]

والأصل في اتخاذ المُملي مُستَمليًا: ما ثبت من حديث رافع بن عَمرٍو المزنيِّ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يخطب الناسَ حين ارتفع الضحى على بغلةٍ شهباء، وعليٌّ يُعبِّر عنه.[٤]

---

(١) التبريزي، أبو الحسن علي بن أبي محمد عبد الله بن الحسن الأردبيلي (ت: ٧٤٦هـ): «الكافي في علوم الحديث»، تحقيق: مشهور حسن سلمان، نشر: الدار الأثرية ـ عمّان، ١٤٢٩هـ، (ص: ٦٤٥).

(٢) السمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء» (ص٩٣).

(٣) ابن الصلاح: «علوم الحديث» ٤/ ٣٠١.

(٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ): «السنن»، تحقيق: عزت عبيد الدعّاس، نشر: دار ابن حزم ـ بيروت ١٤١٨هـ، كتاب المناسك، باب في أي وقت يخطب يوم النحر، ٢/ ٣٣٥ (١٩٥٦).

ثم إنه لا بدَّ من توفُّر صفاتٍ، ومراعاتها في المُستملي.

قال الحافظ ابن الصَّلاح: وليكن مُستمليهِ مُحصِّلًا مُتيقِّظًا؛ كيلا يقعَ في مثل ما رُوِّينا: أن يزيد بن هارون سُئل عن حديثٍ، فقال: حدَّثَنا به عِدّةٌ. فصاحَ به مُستمليه: يا أبا خالد، عِدّةُ ابن مَنْ؟ فقال له: عِدّةُ ابن فقدتُّك![1]

لذا، كان العلماء من أصحاب الأمالي يَحرصون على انتقاء المستملين الثقات، النابهين المتيقّظين، من أصحاب الأصوات الجهورية.

وينبغي أن يكون المُستملي ممّن قد أنِسَ بالحديث واشتغل به بعضَ الشغل إن لم يكن الكلَّ؛ لأنه إن لم يكن مشتغلًا به لا يؤمَن عليه من الغَلَط والخطأ.[2]

قال أبو إسحاق الفَزَاريّ: ما كانوا يقدِّمون للاستملاء إلا خيرَهم وأفضلَهم.[3]

فكان منهم: شعيب بن أبي حمزة كاتبًا، يكتب للزهري ما يمليه للسلطان.[4]

---

(١) ابن الصلاح: «علوم الحديث» ٤/ ٣٠١.

(٢) السمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء» ص٩٥.

(٣) السمعاني: المصدر السابق، ص٩١.

(٤) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ٧/ ١٨٨.

وغياث بن جعفر: كان مستمليَ سفيان بن عُيينة.[1]

ومحمد بن أبان أبو بكر البَلْخيّ مستملي وكيع، ثقة، استملى لوكيعٍ نحوَ بضعة عشر سنة.[2]

وعبد الرحمن بن يونس بن هاشم، أبو مسلم الرُّوميّ، مولى أبي جعفر المنصور، وهو المُستملي، كان يستملي على سفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون.[3]

ومنهم: هارون بن سفيان، أبو سفيان، مستملي يزيد بن هارون. يعرف بالديك.

قال أبو حاتم الرازي: لقد حضرتُ مجلسَ سليمان بن حرب ببغداد، فحزروا من حضر مجلسه: أربعين ألف رجل.

وكان مجلسُه عند قصر المأمون، فبنى له شبهَ منبر، فصعد سليمان، وحضر حوله جماعة من القُوّاد، عليهم السَّواد، والمأمون فوقَ قصره، وقد فتح باب القصر، وقد أُرسِل سِترٌ شفٌّ وهو خلفَه، وكَتَبَ ما يُملي.

---

(١) ابن حجر، شهاب الدين، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): «تهذيب التهذيب» نشر: دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٤هـ، ٨/ ٢٢٦.

(٢) الذهبي: «السير» ١١/ ١١٥، وابن حجر: المصدر السابق، ٩/ ٥.

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، ٦/ ٢٧٠.

فسُئل سليمان أولَ شيء حديث حوشب بن عقيل، فلعلّه قد قال: حدثنا حوشب بن عقيل أكثر من عشر مرات، وهم يقولون: لا نَسمع، فقام مُستملٍ ومُستمليان وثلاثة، كلُّ ذلك يقولون: لا نسمع، حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يَحضَر هارونُ المُستملي.

فلما حضر، قال: مَنْ ذَكَرتَ؟

فإذا صوته خلاف الرَّعد، فسَكتوا، وقعد المُستملون كلُّهم، فاستملى هارون.[1]

ومنهم: أبو بكر العَطّار الحافظ، مستملي أبي نعيم الأصبهاني.[2]

وربما اضطرّ المملي أن يزيد مِن عدد المُستملين، بسبب كثرة الزحام.

فربما زاد عدد المستملين حتى يبلغوا سبعة، أو عشرة، بل أكثر.

ومن أعجب ذلك ما يُحكى أن عدد المستملين في مجلس إملاء الحافظ جعفر بن محمد الفريابي بلغوا ثلاثَمائة وستةَ عشر مُستمليًا.[3]

---

(١) الخطيب: «تاريخ بغداد»، والذهبي: «السير» ١٠/ ٣٣١-٣٣٢.

(٢) الذهبي: المصدر السابق، ١٨/ ٣٣٩.

(٣) السمعاني: المصدر السابق، (ص: ١٨).

٣. المملَى عليهم (الكاتبون).

هُـم فـي الغالـب من طلبـة العلم، ومبتغـي المعرفة، مـن أهل البلد أو مـن الرحّالـة الذين يجوبـون البلاد بحثًا عـن العلم وأهله.

ولم يقتصر مجتمعُ هؤلاء على طلبة العلم خاصّة، بل تعدّاه ليشمل الخلفاءَ والسلاطين والوزراءَ والقادةَ، والتجّارَ والأعيانَ، وأبناءَ كلٍّ وعوائلَهم ومواليَهم.

فإنّ مجالسَ الإملاء شرفٌ يطلبه كلُّ أحد.[1]

ذُكـر فـي ترجمة أبـي العبـاس ابن حمـدان الحِيـريّ النيسـابوري (ت: ٣٥٦ هـ) أنـه كان لـه مجلـس للإمـلاء فـي كل اثنيـن وخميـس، فـكان يحضـره الأئمـة والكبـراء.[2]

* * *

(١) وقد قدّمنا آنفًا ما كان يشتهيه الخلفاء من مجالس الإملاء، كالمنصور والمأمون.

(٢) الذهبي: «السير» ١٦/ ١٩٥.

المطلب الثاني: الآداب المرعية في مجالس الإملاء

وهذه الآداب، يحتاجها كلٌّ من المُملي، والمُستملي، والسامع.

لقد جعل العلماءُ لمجالس الإملاء آدابًا ينبغي مراعاتُها مِنْ قِبَلِ المُملي، فمِنْ ذلك ما ذكَرَه الحافظ السّمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» فقال ـ وأنا مختصِرٌ قولَه ـ: يَنبَغي للمحدِّث أن يُصلِحَ هَيئتَه ويأخُذَ لروايةِ الحديثِ أُهبتَه، ويُستَحبُّ أنْ يَكونَ المُملي في حالِ الإملاءِ عَلى أكمَلِ هَيئةٍ وأفضَلِ زينةٍ، ويَتَعاهَدَ نفسَه قبلَ ذلكَ بإصلاحِ أمورِهِ الّتي تُجمِّلُهُ عند الحاضرين من الموافقين والمُخالفين، ولْيبتدِئ بالسِّواكِ، ولْيقُصَّ أظافيرَه إذا طالَتْ، ولْيَأخُذْ مِنْ شاربِهِ، ولْيُسكِّنْ شَعَثَ رأسِهِ، ولْيَلبسْ مِنَ الثِّيابِ البيضَ، ولْيُكوِّرِ العِمامةَ، ولْيسرِّحْ لحيتَه، ولْيَستعمِلْ مِنَ الطِّيبِ إنْ كانَ عندَهُ، ولْيَنظُرْ في المِرآة، ولْيَقتَصِدْ في مَشيِهِ إذا قَصَدَ المَجلسَ، ولْيبتدئْ بالسَّلامِ لِمَنْ لَقيَهُ مِنَ المسلمِينَ، ولْيَعمَّ بالسَّلامِ كافّةَ المسلمِينَ حتّى الصّبيانِ غيرِ البالغينَ، وإذا وَصَلَ إلى المجلِسِ فلْيَمنعْ مَنْ كانَ جالسًا مِنَ القيامِ لَهُ فإنّ السُّكونَ إلى ذلكَ مِن آفاتِ النَّفْسِ، ويُستحَبُّ لَه أنْ يُصلّيَ رَكعتينِ قبلَ جُلوسِهِ، وأنْ يَجلِسَ مُتَربّعًا مُتَخَشِّعًا، ولْيَستَعمِلْ لَطِيفَ الخِطابِ معَ أصحابِهِ، ويُحسّن خُلُقَه مع أصحابِهِ وأهلِ حَلْقَتِهِ، ويَنبغي للمُملي أن يُعيّنَ لأصحابِهِ يومَ

المجلِسِ لِئَلّا يَنقطعوا عَنْ أشغالهم ولِيَستَعدّوا لإتيانِهِ ويعدَّ بعضُهم بعضًا، وإذا عَيّنَ لهم اليومَ ووَعَدَهم بالإملاء فيه فلا يَنبغي لَه إخلافُ مَوعِدِهِ إلّا أنْ يَقتَطعَه عَن ذلك أمرٌ يَقُوم عذرُه به.[1]

أما آداب المُستملي، فقد ذكر السّمعاني جانبًا طيبًا منها، وأسهب في ذكر ما يناسبها من الأحاديث والآثار. وأنا أذكر ما أشار إليه من الآداب باختصار:

قال السمعاني: يُستحَبُّ للمُستملي أن يَقعُدَ على مَوضعٍ مُرتفعٍ مِثلِ دَكّةٍ أو كُرسيٍّ، فإن لَم يَجِد استملَى قائمًا لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين.

وينبغي أن يكون المُستملي جهوريَّ الصوت.

ويَنبَغي أن يَكونَ مُتَيقِظاً مُحصِّلاً، ولا يكونَ بَليداً مُغَفّلاً.

وينبغي أن يُتخَيّرَ للاستملاء أفصَحُ الحاضرين لساناً، وأوضحُهم بياناً، وأحسنُهم عبارةً، وأجودُهم أداءً.

وينبغي أن يكون المُستملي ممن قد أَنِسَ بالحَديث واشتَغَلَ به بعضَ الشُّغل إن لم يكن الكُلَّ؛ لأنه إذا لم يَكنْ مُشتَغِلاً به لا يُؤمَنُ عَليهِ منَ الغَلَطِ والخَطَأ.

---

(١) السمعاني: «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: ٣٣) فما بعدها.

ويَنبَغي لَه أن يَستنصِتَ الناسَ.

إلى غَيرِ ذلكَ من الآداب.

وأما آداب السامع والكاتب[1]، فإنه ينبغي له أن يتميّزَ في عامّة أموره عن طرائق العوام باستعمالِ آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيفِ السُّنَنِ على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

وينبغي له ـ إن أراد سماعَ الإملاء ـ البكورُ خوفًا من فوات المجلس بتأخير الحضور.[2]

وأن يأتيَ مجلسَ الإملاء ماشيًا على تُؤَدةٍ من غير عَجَلة، وإن أسرع في المشي حرصًا على الطلب جاز له ذلك.

وإذا حضر جماعةٌ من الطلبة وأُذِنَ لهم في الدخول على المُملي فينبغي أن يُقدِّموا أسنَّهم ويُدخِلوه أمامَهم؛ فإنّ ذلك من السُّنّة.

وإنْ قَدّمَ الأكبرُ سِنًّا مَنْ كانَ أعلمَ منه على نفسِهِ جازَ ذلك وكان مُستحسَنًا.

---

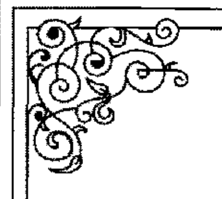
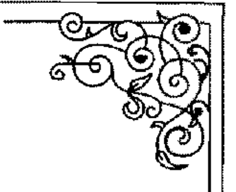
(١) انظر: السمعاني، المصدر السابق، (ص: ١٠٨) فما بعدها.

(٢) انظر: السمعاني: المصدر السابق، (ص: ٨١).

وجمـاعُ ذلك كلِّـه أن يُعظِّـمَ الطالبُ مجلـسَ الإمـلاء، ويُبالغَ في تعظيم المُملـي وتَبجيلِه، وأن يُحسِـنَ الاسـتماعَ والإصغاءَ.

وعمومًا فإنّ مجالس الإملاء لا بُدّ فيها من استشعار الهَيبة والوقار، وإضفاء صفة التعبُّد والقُربة إلى اللهِ تعالى، والتَّحَلّي بصفات الخير والصَّلاح ظاهرًا وباطنًا.

* * *

المبحث الرابع:

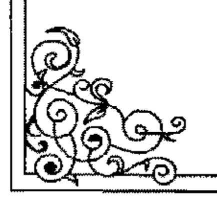
مجالس الإملاء.. آثارها وثمراتها

وفيه مطلبان:

الأول: الأثر الفكري والعقدي لمجالس الإملاء

الثاني: الأثر العلمي لمجالس الإملاء

* * *




المطلب الأول: الأثر الفكري والعَقَدي لمجالس الإملاء

الأمالي العلمية ـ ومنها على وجه الخصوص الأمالي الحديثية ـ مجالس يترأسُّها أهلُ العلم الكبار، ممن لهم الحظُّ الكبير بين العامة والخاصة. فهم أصحاب الحديث وحُفّاظه وحُرّاسه.

لذا فَهُم على قَدْرٍ كبير من الاستقامة على دين الله، وهَدي رسول الله ﷺ في اعتقاداتهم، وعباداتهم، وسلوكهم.

ومن أجلِ ذلك صارت هذه الأمالي سببًا عظيمًا من أسباب استقامة الدين، وصحة الاعتقاد، والالتزام بالسنة، والدعوة إليها.

وفي ذلك يقول الحافظ أبو بكرٍ الخطيبُ البغدادي: ينبغي أن يُملَى من الأحاديث ما تَعلّقَ بأصول المعارف والديانات، وتَضمّن الدلائلَ على صحّة المَذاهب والاعتقادات، إذ كان ذلك أُسَّ الشرعِ ودعامتَه، وأصلَ كلِّ نوعٍ من التكليف وقاعدتَه[1].

قال أبو مُسهِر: قَدِم أبو إسحاق الفَزَاريُّ دمشقَ، فاجتمع الناسُ ليسمعوا منه، فقال: اخرجْ إلى الناس، فقل لهم: مَن كان يرى القَدَرَ، فلا يَحضرْ مجلسَنا، ومن كان يرى رأيَ فلان، فلا يحضر مجلسَنا، فخرجتُ، فأخبرتهم.[2]

---

(١) الخطيب: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ٢/ ١٠٧.

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٥٤٢.

وقد كانت لأبي القاسم التيمي الأصبهاني مجالسُ يُمليها في أثبات الصفات، وأملى في صفة النزول أمالي، ضَمّنها الكلامَ على رواتها جرحاً وتعديلاً.[1]

لذا نجد من الأئمة والحفاظ من أفرد أياماً خصّها لإملاء أحاديث الصفات وإثبات معتقد أهل السنة والجماعة، كما حصل لأبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد (٤٤٢هـ)، إذ كان يَحضر جُمَعاً مترادفاتٍ في جامع المنصور ببغداد يُملي به أخبارَ الصفات على معتقد أهل السنة.[2]

وكذلك كانت مجالس الإملاء عامرةً بتلاوة كتاب الله ـ تعالى ـ، وحديث رسول الله ﷺ، وبثِّ اعتقاد السلف الصالح ونشره.

ومن أمثلة الأمالي التي عُنيَتْ بذكر اعتقاد السلف الصالح: مجلس إملاء حديث البطاقة، لحمزة الكِناني[3]، ومجلس إملاء أبي

---

(١) ينظر: الذهبي: «تاريخ الإسلام» ١١/ ٦٢٧.

(٢) ينظر: ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفَرّاء الحنبلي: «طبقات الحنابلة»، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، ٣/ ٣٧١.

(٣) طبع عدة طبعات، منها بتحقيق الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، نشر: مكتبة دار السلام ـ الرياض، ١٤١٢هـ.

عبد الله الدقّاق في رؤية الله تبارك وتعالى[1]، وغير ذلك.

* * *

(١) طبع بتحقيق الدكتور حاتم بن عارف العوني، مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤١٨هـ.

المطلب الثاني: الأثر العلمي لمجالس الإملاء

تُعَـدُّ مجالـسُ الإملاء صـورةً من صـور الرُّقي العلمي الـذي بلغته الحضارة الإسلامية.

وذلك من خلال محورَين رئيسَين:

ـ المحور العلمي:

ويظهر أثر الإملاء فيه من وجوه:

الأول: المادة العلمية الغزيرة التي كانت تُلقى في المجلس، فهذا العلم يُلقِي بظلاله على المجتمع الإسلامي بأسره، بل إنه يمثّل ذروة ما وصل إليه الدرسُ العِلميّ في تاريخ الإسلام.

وليس أدلَّ على ذلك ما نراه من ازدهار العلم والمعرفة تزامنًا مع ازدهار الأمالي.

قال الحافظ العراقي: كانت مجالس الحديث عامرةً بأهلِه، حتى وُسِّد الأمرُ إلى غير أهلِه، فانقطعت مجالس الإملاء لتقاعد الهِمَم عنها، ورغبة الطالبين عن عَقد ذلك وحَلِّه.(١)

الثاني: أنّ الإملاء يعتبر اللونَ الثاني من ألوان التصنيف العِلمي.

---

(١) العراقي: «الأربعون العشارية» (ص: ١٢٢).

فـإذا كان اللـون الأوّل مـن ألوان التصنيـف يرتكز على مـا يقوم به المصنِّـف من جمع المـادة العلمية للكتـاب، وتدوينهـا، وتنظيمها؛ فإن مجالـس الإمـلاء تُعَـدّ ـ بلا شـك ـ مصـدرًا خصبًـا من مصـادر التأليف والتصنيف.

وقد ازدهرت حركة التأليف باطّرادٍ واضحٍ مع ازدهار الأمالي، وكم من مصنَّف عظيم من مصنَّفات الإسلام كان عبارة عن أمالي يُلقيها العالم على طلّابه ومُسمعيه في مجالسه، فإذا بهذه المجالس أضحت كتابًا عظيمًا في بابه.

فمـن هـذه المصنفـات التي جمعهـا الناس فـي الإمـلاء: الكتابان العظيمـان للإمـام الحافـظ أبـي جعفـر محمـد بـن جريـر الطبـري (ت: ٣١٠هـ) «التفسـير» و«التاريـخ»، فحينما همَّ الطبـري بإملائه على الطلبـة قـال لأصحابه: هل تنشـطون لتاريـخ العالم من آدم إلـى وقتنا؟ قالـوا: كـم قـدره؟ فذكـر نحـو ثلاثيـن ألـف ورقـة! فقالـوا: هـذا ممـا تَفنـى الأعمـار قبـل تمامـه. فقال: إنّـا لله!! ماتـت الهِمَم.

فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ولمّا أن أراد أن يُملي التفسيرَ قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه على نحوٍ من قدر التاريخ.[1]

---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٢٧٤ـ٢٧٥.

ويظهر أنه استمرّ يُملي كتابَ التفسير مدّة سبع سنين، فقد قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: سمعتُ أبا بكرِ بنَ بالويه يقول: قال لي أبو بكر بنُ خُزَيمة: بلغني أنكَ كتبتَ التفسيرَ عن محمد بن جرير؟ قلت: بلى، كتبتُه عنه أملاءً. قال: كلّه؟ قلت: نعم. قال: في أي سنة؟ قلتُ: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ومئتين.

قال: فاستعاره مني أبو بكر، ثم ردَّه بعد سنين، ثم قال: لقد نظرتُ فيه من أوله إلى آخره، وما أعلمُ على أديم الأرض أعلمَ من محمد بن جرير، ولقد ظَلَمَتْه الحنابلة[1].

ومن مفاخر ما جُمِع على طريقة الإملاء: الكتاب العُجاب «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» للإمام الحافظ أبي الحسن الدارقطني (٣٨٥هـ).

قال أبو بكر البَرقاني: كان الدارَقطني يُملي عليَّ «العلل» من حفظه.

وقد عَلّق الحافظ الذهبي على حكاية البَرقاني، فقال: إن كان كتاب «العلل» الموجود قد أملاه الدارقطني من حفظه ـ كما دلّت عليه هذه الحكاية ـ فهذا أمرٌ عَظيمٌ، يُقضَى به للدارَقطني أنه أحفَظُ أهل الدنيا، وإن كان قد أملى بعضَه مِن حِفظِه فهذا مُمكن[2].

---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٢٧٢ـ٢٧٣.

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٤٥٥.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ: كتاب «معرفة أنواع علوم الحديث» للإمام الحافظ أبي عَمرٍو ابنِ الصلاح (٦٤٣هـ)، فقد أملاه الحافظُ شيئًا بعد شيء على طلبته، ثم ذاع وانتشر، وحصل به نفعٌ عظيمٌ، وكان عائلَ مَن جاء بعده ممن صنّف في علوم الحديث.

ومن هذه البابة ـ أيضًا ـ: كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

قال الحافظ السخاوي: كان الابتداءُ فيه في أوائل سنة سبعَ عشرةَ وثمانمائة على طريق الإملاء... إلى أن انتهى في أول يومٍ من رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، سوى ما أُلحِق فيه بعد ذلك، فلم يَنتهِ، إلا قُبيل وفاة المؤلف بيسير.[1]

بل إنّ كثيرًا مما عُدَّ من مصنفاته إنما هو مجالسُ مِن أماليه التي زاد عددُها على (١٠٥٠) مجلسًا.[2]

فمن ذلك: كتاب «موافقة الخُبْرِ الخَبرَ في تخريج أحاديث المختصر»[3].

---

(١) السخاوي: «الجواهر والدرر» ٢/ ٦٧٥.

(٢) السخاوي: المصدر السابق، ٢/ ٥٨٤.

(٣) طبع بتحقيق شيخنا السيد صبحي السامرائي، وصاحبه الشيخ حمدي عبد المجيد =

وكتاب «نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار»[1].

ـ المحور التعليمي:

فالأمالي سببٌ عظيم ومباشر من أسباب تهيئة الناشئة على طلب العلم، وتأهيلهم على أسس علمية رصينة عالية.

فبالإضافة إلى ما يستعدّ له الطالب من ضرورة مراعاة الآداب التي قدّمنا شطرًا منها في المبحث السابق؛ فإن حضوره إلى مجالس الإملاء يتطلب منه وعيًا وتركيزًا وهمةً قلَّ نظيرُها في أيّ مجلسٍ كان، فالشيخ ـ بما له من هيبة ووقار ـ يُملي، والمُستملي يرفع صوته صادحًا مبلِّغًا إملاءَ شيخه، والطالب (المُملَى عليه) يَستقبل ذلك، ويكتبه، ويحفظه، ويُعارِضه، ويقابله، ويُذاكِر به، وربّما صَنَّفَ فيه وألّفَ منه. فأي منظومة علمية تربوية ترقى لمثل هذا التأهيل والتأسيس؟!

***

= السلفي، ونشر في: مكتبة الرشد بالرياض، ١٤١٩هـ، في مجلدين. وانظر: السخاوي: «الجواهر والدرر» ٢/ ٥٨٢.

(١) طبع بتحقيق الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، ونشر في: دار ابن كثير بدمشق، في ثلاثة مجلدات. وانظر: السخاوي، المصدر السابق، ٢/ ٥٨٣.

المطلب الثالث: الأثر الاجتماعي والسلوكي لمجالس الإملاء

لقد كان لمجالس الإملاء أثرٌ اجتماعي بارز في حياة الأمة. فاجتماعٌ هذا حالُه، وعددٌ غفيرٌ يجتمعون في بيتٍ من بيوت الله، يجمعهم حبُّ العلم والشَّغفُ بتحصيل كلِّ ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.. لا شكّ أن هذا المجتمع ستزداد فيه أواصرُ الأخوّة الإيمانية، ويزداد فيه التواصي بطاعةِ الله، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وغيرُ ذلك من وشائج الخير والبرِّ.

قال أبو داود الطيالسي: كُنّا عندَ شُعبَةَ[1] نَكتُبُ ما يُملي، فَسَأَلَ سائِلٌ. فقال شعبةُ: تَصدَّقوا، فإن أبا إسحاقَ حَدَّثني عن عَبدِ الله بن مَعْقِلٍ، عن عديٍّ بن حاتِمٍ، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: **«اتَّقُوا النّارَ ولَو بِشقِّ تَمْرَةٍ»**[2]. فلم يَتصدّقْ أحدٌ.

فقال: تصدَّقوا، فإنَّ عمرَو بنَ مُرَّة حدثني عن خَيثَمَةَ، عن عَديٍّ بن

---

(١) الإمام الحافظ، الحجة، شيخ الإسلام، أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي مولاهم الواسطي نزيل البصرة ومحدثها.

ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١٢/٤٧٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/٢٠٢)، و«التقريب» (ص: ٢٦٦).

(٢) البخاري: «الجامع الصحيح»، كتاب الزكاة، باب «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ٢/١٠٩ (١٤١٧).

حاتِمٍ، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**اتَّقوا النَّارَ ولَو بشقِّ تَمْرَةٍ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[1]. فلم يتصدقْ أحد.

فقال: تَصَدَّقُوا فإنَّ مُحِلًّا الضَّبّيَّ حَدَّثَني عَنْ عَدِيّ بنِ حاتِمٍ، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**اسْتَتِرُوا مِنَ النَّارِ ولَو بِشقِّ تَمْرَةٍ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[2]. فلم يتصدَّقْ أحد.

فقال: قُومُوا عَنِّي، فوَاللهِ لا حَدَّثْتُكم ثلاثةَ أَشْهُرٍ.

ثم دخل منْزِلَه، فأخْرَجَ عَجِينًا له، فأعطاه السَّائِلَ، فقال: خُذْ هذا، فإنه طعامُنا اليومَ.[3]

نعم، كان المُملي مربّياً قبل أن يكون معلّماً، ومرشداً قبل أن يكون مدرّساً.

---

(١) البخاري: كتاب الأدب، بابُ طيب الكلام، ٨/ ١١ (٦٠٢٣)، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٨/ ١١٥ (٦٥٦٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، ٣/ ٨٦ (١٠١٦).

(٢) **صحيح**. انظر: أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): «المسند» تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٢٠هـ. ٣٠/ ١٩٠ (١٨٢٥٤) من طريق شعبة، عن مُحِلٍّ، به.

(٣) الحُميدي، أبو عبد الله، محمد بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ): «أخبار وأشعار ـ تذكرة الحميدي» رقم (١). ومن طريقه: الذهبي في «سير أعلام النبلاء» تحقيق: ٧/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

لذا كان أثره على طلابه وبيئته ظاهراً في سلوكهم وأحوالهم.

ومن أجْلِ ما للأمالي من ترسيخٍ للأخلاق الحميدة، والآداب الفاضلة الرشيدة؛ حَرَصَ الآباءُ والأمّهاتُ على إرسال أبنائهم إلى هذه المجالس، فلم تقتصر على حضور كبار الطلاب والمشايخ، بل اتّسعت لتشمل الأطفالَ والصبيانَ، بل البناتِ والنساءَ.

فقد ألزم هشامُ بنُ عبد الملك الإمامَ ابنَ شهاب الزهريَّ أن يُمليَ على بَنيه.[1]

وهذا الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي يَذكر في «معجمه» أنه بدأ كتابة الإملاء في صغره بخطه، سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وهو يومئذ ابنُ ستّ سنين![2]

وكان ممن يحضر مجالسَ الإملاء: النسوانُ. فكُنّ يكتبنَ ويحفظنَ، وقد احتيج إلى كثير منهنّ لتفرّدهن بالأسانيد العالية عن الشيوخ الكبار.

---

(١) الذهبي: «السير» ٥/ ٣٣٤.

(٢) الإسماعيلي، أبو بكر، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي (ت: ٣٧١هـ): «المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي» ١/ ٣٠٩.

وقد علق الذهبي على ذلك بقوله: فهذا يدلّك على أنّ أبا بكرٍ حَرَصَ عليه أهلُه في الصغر. «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٢٩٥.

فكان منهن: عائشةُ الوَرْكانية، كتبت الإملاءَ عن أبي عبد الله ابن مندة بخطها.[1]

ومنهن: أم الفضل عائشة بنت أبي بكر البلخي، سمعت من الداودي أماليَه، وحدَّثتْ بها عنه.[2]

ومنهن: ستُّ العلماء فاطمة بنت أبي الحسن الأصبهانية، سمعت من القاضي ابن أبي الرجاء الأصبهاني أماليَه، وحدّثت بها.[3]

وغيرهن ممن لا يأتي عليهنّ العدّ.

ومن ذلك: تأهُّل الفاضلات العالمات من النساء لعقد مجلس الإملاء، ففي ترجمة أم سلمة فاطمة بنت أبي بكر بن أبي داود السجستاني: أنها كانت تُملي في منزل أبي إسحاق المُزكّي من حفظها.[4]

نعم، كان الإملاءُ سببًا عظيمًا لتَوَجُّهِ كثيرٍ من البيوتات إلى العلم والصلاح، وكان سبيلًا رشيدًا لظهور علماء أفذاذ في الأمة

---

(١) الذهبي: «السير» ١٨/ ٣٠٢.

(٢) السمعاني: «المنتخب من معجم شيوخه» ٣/ ١٩٠٠.

(٣) الذهبي: «تاريخ الإسلام» ١١/ ٦٩٠.

(٤) الخطيب، «تاريخ مدينة السلام بغداد» ١٦/ ٦٣١.

قضَـوا طفولتهـم فـي مجالـس الإمـلاء ونهلـوا منهـا علمًـا جَمًّـا وأدبًا رفيعًـا وخلقًـا نبيلًا.

ولعلّي ـ بسردي لهذه البيوتات، ولهؤلاء الأئمة ـ أخرج عن البحث وشرطي فيه من الاختصار وعدم الإطالة، لكني أذكر على سبيل المثال صورًا من ذلك وألوانًا:

فمن ذلك: الإمام الحافظ أبو المحاسن، محمد بن علي الحسيني (ت: ٧٦٥هـ)، فقد كان يُحضِر عائلته كلَّها للسماع، وقد حفظت لنا سماعات كتاب المهروانيات مثالًا طيبًا لهذا الحضور.

جاء في الورقة (١٣/ب) من نسخةٍ من كتاب «المهروانيات» ما نصه: «الحمد لله ربّ العالمين، سمع هٰذه الأجزاء الخمسة من حديث أبي القاسم يوسف بن محمّد بن أحمد المهروانيّ، الّتي خرّجها له الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديّ، علىٰ الشّيخ الإمام أبي عبد الله محمّد بن الصّارم أزبك بن عبدالله البدريّ الخزنداريّ... : الإمام السّيّد أبو المحاسن محمّد بن عليّ الحسينيّ، وابنه: عليّ في الأُولى، وأمّه عائشة بنت عليّ بن محمّد، وآخرون». اهـ.

وجاء في (ق١/أ) من نسخة أخرى: «الحمد لله وحده، سمع هذا الجزء من المهروانيّات، من لفظ الشّيخ الإمام العالم المحدّث زين

الدّين أبي بكر بن الشّيخ زكيّ الدّين قاسم بن أبي بكر الرّحبيّ، بحقّ أجازته من مشايخه الأربعة...: أولادُه الثّلاثة: محبُّ الدّين أبو عبد الله أحمد، وأمّ الخير خديجة، وأمُّ الحسن فاطمة ـ أسعدهم الله تعالى ـ وأمُّهم زينُ النّساء، بنت بدر الدّين عبد اللّطيف بن أبي القاسم بن تيميّة، وفتاتها لؤلؤة الرّوميّة». اهـ.

لقد كان لحضور مجالس الإملاء أثرٌ عظيمٌ في نشأة أجيال الأمة على العلم وأنواع المعارف، وبها صار كثيرٌ من صبيان الأمة وغلمانها علماءَ أفذاذًا يشار إليهم بالسبق وعلو الرتبة.

فهذا الإمام الحافظ أبو طاهر السِّلَفي (ت: ٥٧٦هـ)، الذي ملأ الدنيا حديثًا، ورُحِلَ إليه من أصقاع الأرض؛ كان أولَ سماعٍ حضَرَه **متفرجًّا مع الصبيان** مجلسُ رِزقِ الله التميمي الحنبلي، إذ قَدِمَ أصبهانَ رسولًا من قِبَلِ الخليفة إلى السلطان، فقال السِّلَفي: شاهدتُ رزقَ الله يومَ دخوله إلى البلد ووصولِه، وكان يومًا مشهودًا كالعيد، بل أبلغُ في المزيد، وأُنزِل بباب القصر محلتنا في دار السلطان... وحضرتُ في الجامع الجورجيري الذي بالقرب من باب القصر ـ محلّتِنا ـ مجلسَه بنفسي لا بمحضر من الكبار[1] بل **متفرِّجًا كعادة الصِّغار**، وقال لي

(١) يعني: يَحضر بمفرده، لا يُحضره أحدٌ من الكبار.

أحمد بن معمر العبدي: قد استجزته لك في جملة مَنْ كتبتُ اسمه من صبياننا في الاستجازة.[1]

إنّ تفاعل المجتمع مع مجالس الإملاء وإرسال الأولاد إليها، وما ينتج من ذلك، من التربية الإيمانية والقرب من الشريعة وعلمائها، وتعظيمها وتقدير رجالها؛ وترك الانكباب على الملذّات المحرَّمة، وسخافات الأفعال وطيشها؛ لا شك سيولّد أجيالًا نبيلة المَرامي، سامية الغايات، قريبة من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، فيَكثر الخير في هذه المجتمعات، ويتضاءل شرُّها، وتدوم عافيتها، وتزداد هيبتُها بين الأمم.

وبضد هذا كلِّه، فإن إعراض الناس عن مجالس العلم، واتخاذ المساجد موئلاً لتعليم الناشئة وتربيتهم على مبادئ الدين، وسماحة أخلاقه؛ كان سبباً من أسباب ضعف الالتزام وفشو البطالة، والتأثر بالعوائد الغريبة الهجينة، وما يتولد عن ذلك من رفع البركة وفساد الأحوال.

قال الحافظ السخاوي: ولعمري، إنَّ انقطاعه كان افتتاحًا للأنكاد،

---

(١) السِّلَفي، أبو طاهر، أحمد بن محمد الأصبهاني: «الوجيز في ذكر المُجاز والمُجيز»، تحقيق: محمد خير البقاعي، نشر: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ، (ص: ٦٩ـ ٧٠) بتصرف. وانظر: الذهبي: «السير» ٢١/ ٨.

ومنعًا من المَسرَّات لخيار العباد، ومقدّمةَ الوباء، وارتفاعَ أسعارِ الأقوات، وتذكُّرًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].(١)

وأختم هذا البحث بهذه الكلمات الرائقات من الإمام الحافظ الجبل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله، فقد روي عن محمد بن العباس الفَرَبْري قال: أملى - أي البخاريُّ - يومًا عليَّ حديثًا كثيرًا، فخاف مَلالي، فقال: طِبْ نفسًا، فإنّ أهلَ الملاهي في ملاهيهم، وأهلَ الصناعات في صناعتهم، والتجّارَ في تجاراتهم، وأنت مع النبيّ ﷺ وأصحابِهِ.(٢)

* * *

(١) السخاوي: «الجواهر والدرر» ٢/ ٥٨٦.

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٤٤٥.

إلى هنا انتهى بنا المقام في هذه التوطئة لبيان ما للأمالي الحديثية من دور وأثر في المجتمع الإسلامي، عسى أن تكون كالتقدمة لدراسة أوسع، تُسلِّطُ الضوءَ على هذا المَعلَم الحضاري الذي أبدع فيه المسلمون أيَّما إبداع.

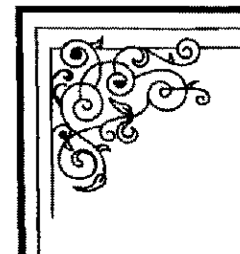
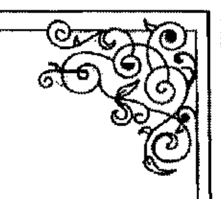
قاله بلسانه، وقيده ببَنانه: أبو عبد الرحمن رياض بن حسين الطائي البغدادي.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمدٍ والنبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* * *


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com




9 786052 279359


دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları
بيروت - لبنان
009615813966
اسطنبول - تركيا
00905454729850